

فتح الكريم الغافر
في
شرح جلبة المسافر

العلامة الحبيب
عقيل بن عمران
ولد سنة ١٠٠١ هـ - توفي بصلالة سنة ١٠٦٢ هـ

حققه

أنور بن عبد الله سالم باعمر

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فقد يسر الله لي الحصول على هذه المخطوطة لجدي التاسع من جهة أبي: الحبيب عقيل بن عمر - رحمه الله - ، على يد الفاضل السيد: حامد بن محمد بن عقيل باعمر ، حيث طلب مني العمل على تحقيقها، فانشرح صدري لذلك، وبدأت العمل بها منذ استلمتها بتاريخ: ١١/٣/٢٠١٣م، رغم قلة بضاعتي، وكثرة إضاعتي للوقت، وصعوبة الحصول على المراجع المطلوبة التي يحتاجها المحقق، لإخراج تحقيقه بشكل أكمل وأتم وأنفع، سيّما وأن موضوعها في علم السلوك، وهذا العلم بحاجة إلى سالك خبير بمصطلحات هذا الفن، عليم بمعامله ودقائقه، لكنني استعنتُ بالله، وطلبت منه الإعانة والتوفيق، فإنه تعالى نعم المولى ونعم المعين .

وهذا الكتاب يضم العديدين الثاني والثالث من سلسلة تحقیقات مخطوطات عثمانية، التي عزمْتُ العمل على مواصلة البحث والتحري عنها، حتى يكتمل عقدها الفريد، والله حكيم حميد، وهو الموفق لما يريد .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا عظيم نفعه، لمن تمعن فيه، وغاص في معانيه، فهو رغم صِغَرِ حجمه، إلا أنه حوى معان عديدة، ودقائق جليلة، يحتاجها كل أحد ليصل بها إلى غايته المنشودة، ووجهته المرجوة، ألا ترى تشبيه الناظم سفر الآخرة بسفر الدنيا، فكنى بالسفينة عن السفر، وجعل أجزاء السفينة مكونات

سفر الآخرة، في أسلوب بديع، متميز، عميق في فحواه، دقيق في معناه، رغم عدم اهتمامه بالتركيبة الشعرية وبحورها وأوزانها، وهو أسلوب يهدف إلى تبسيط الشعر وإيصاله لمستمعيه ببساطة ويسر من غير تكلف في تركيبه .

حتى قال بعض المتصوفة لما سمع قول الشاعر:

عليّ نحتُ القوافي من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر

قال:

تركتُ نحتَ القوافي من معادنها لأن لي مقصدا أن تفهم البقر

هذا، وقد تجلّى النظم في وجدانه ومعناه، ووصلت معانيه إلى قارئها بأسلوب يعرفه ويفهمه، سيما أهل البحر الذين عايشهم الناظم على ساحل حضرموت، وهو الغاية التي يطلبها الناظم، فالشعر عند أهل السلوك، أو ما يعرف بالشعر الصوفي، الذي أكثر ما يكون في الزهد والوعظ ومحاسبة النفس، يتميز عن غيره بمدلولاته وعمق عباراته، التي قد لا يدركها إلا من عرف غايته ومضمونه، وصحت نيته، كي لا يسيء الظن بهم، لاسيما في النمط الغزلي، والتي يكثُر فيه التعريض بمسميات حسية، كليلي وهند وسعاد والسكر ونحوها .



عملي في الكتاب:

- اعتمدتُ على مخطوطة واحدة، وهي نسخة مؤرخة سنة ١٢٠٠هـ، أي بعد وفاة الشارح بنحو ١٣٨ سنة لذلك كثر فيها التصحيف، واستأنستُ بأخرى مطبوعة، وعليها تحقيق مختصر، ولا أعلم نسبتها لمن .

- خرّجت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وما ورد فيها من آثار، وعزوتُ أغلب الأقوال إلى قائلها، وأحيانا قد أعزو إلى بعض المراجع المعروفة التي ذكرت فيها .
- ترجمت للشارح بما تيسر لي من مراجع، ولم أجد ترجمة للناظم .
- ما زدته في المتن جعلته بين قوسين []، وأحيانا إذا اختلفت النسخ أذكر الألفاظ المتغايرة من مراجعها .

أسأل الله تعالى ذي الكرم والجود، أن يجود علينا بألطافه وهديه، ويعفوا عنا برحمته وفضله، كما أسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يعم به النفع، آمين اللهم آمين .

كما أشكر جميع الإخوة الأفاضل الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب، فجزاهم الله خيرا، وجعل ذلك في موازين أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين .

كتبه /

أنور بن عبد الله بن سالم باعمر

صلاة: ٢٠١٣م



ترجمة المؤلف الشارح^(١)

اسمه ونسبه الشريف:

هو السيد العلامة الحبيب: عقيل بن عمر (الملقب عمران)^(٢) بن عبدالله ابن علي بن عمر بن سالم بن محمد بن عمر بن علي^(٣) باعمر بن عمر بن أحمد الشهيد بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط (ت: ٥٥٦ هجرية بمرباط) بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبدالله بن أحمد المهاجر ابن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين ابن الإمام علي زوج فاطمة الزهراء بنت النبي محمد ﷺ .



ميلاده ونشأته:

تزوج والده السيد: عمر بن عبدالله من الفاضلة: عائشة بنت الشيخ أحمد حاسكي بن عفيف، وأولدت له: عقيل، وجنيد، وحسين، وهذين الأخيرين انقرضا، وقد توفي والده السيد: عمر بن عبدالله سنة ١٠٤٥ هجرية، ودفن رحمه الله بمقبرة الشيخ عبدالرحمن بعوقد، وله ثلاثة من الأبناء، وهم: أحمد وطه وزين العابدين .

(١) أبرز مراجع الترجمة: ((المشروع الروي في مناقب السادة بني علوي))، للعلامة محمد بن يوسف الشلي، ((الأعلام)) للزركلي، ((البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)) للإمام محمد بن علي الشوكاني.

(٢) عمران هو لقب السيد عمر والد الحبيب عقيل صاحب الترجمة.

(٣) قال السيد/ محمد بن أحمد الشاطري في ((المعجم اللطيف في سلالة آل باعمر)) ص ١٣٨: "هم سلالة علي ابن عمر بن سالم بن محمد بن عمر بن علي بن عمر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ... ومعنى باعمر، أي: ابن عمر كما هو معلوم فهو يكنى بباعمر كما يكنى كل من أعقابه بهذه الكنية ..". انتهى.

قال صاحب ((المشرع الروي)) في ترجمة شيخه الحبيب عقيل بن عمران: "ولد رضي الله عنه بقرية الرباط، من قرى ظفار الحبوذي، سنة ١٠٠١ هجرية، وحفظ القرآن المجيد، كان أول سماعه وهو ابن عشر سنين، من السيد الجليل شهاب الدين أحمد بن محمد الهادي بن شهاب الدين، بظفار". كما تلقى أولويات معارفه وعلومه، ورقى في السلم التعليمي من أعيان بلده بظفار.

قال الشلي عن بعض صفات شيخه الحبيب عقيل بن عمران: "وكانت أخلاقه شريفة، وشمائله لطيفة، وكان ملجأً للوافدين، وحرماً آمناً للخائفين، وملاًذاً للقاصدين، وكان يكرم الضيفان، ويكسو العريان، ويحسن إلى العام والخاص والداني والقاص، ويحب سائله، وينجح وسائله، وكان عن الذنب مغضياً، وإلى الصفح مفضياً، وللعثار مثيلاً، وللحائر دليلاً، وغير ذلك من صفات الكمال".



طالبه للعلم ورحلاته:

عُرِفَ الحبيب عقيل بن عمران - رحمه الله - بمجاهداته وخلواته، متصلة تلك المجاهدات بمدرسة تربوية عظيمة، لم يعرف مثلها في التاريخ، حيث مزجت بين الروحانية والمادة، فخرجت بمفهوم جديد للعبادة، مما كان له الأثر الكبير في إيجاد جيل فتح الله بهم البلاد، وتأسست على أيديهم أعظم حضارة عرفها التاريخ، تلك هي مدرسة رسول الله ﷺ، توارثتها الأجيال بالسند المتصل، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: ((إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل، جبل معدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)). قال الهيثمي:

"رواه أحمد وإسناده جيد".

رحل السيد عقيل بن عمران إلى بلدان عدة، في سبيل الاستزادة من العلم والمعرفة، فرحل إلى الحرمين الشريفين، وحضر موت، واليمن، وأخذ عن علماء أفاضل ليعود بعد ذلك إلى وطنه ظفار، ظافرا بعلوم ومعارف، متصلة سندها إلى رسول الله ﷺ، ليبثها في أبنائه، ومريديه، وأحبابه، في معلّم من معالم العلم بظفار يعرف بالرباط، فقد كان هذا الرباط نبراسا يضيئ منه نور العلم، فانتفع به خلق كثير، وتخرج منه رجال حملوا راية العلم وبثوها في العالمين.



شيوخه:

من شيوخه في الحرمين الشريفين:

- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان البكري.
- والسيد علي بن عبدالله باهارون.
- والشيخ سعيد بابقي.

ومن شيوخه في حضرموت:

- ✧ الشيخ زين العابدين بن عبدالله العيدروس.
- ✧ السيد شيخ العيدروس.
- ✧ والشيخ حسن باشعيب.
- ✧ وشهاب الدين أحمد بن محمد الحبشي باعلوي.
- ✧ والعلامة أحمد بن حسين بلفقيه.
- ✧ والشيخ جمال الدين محمد بن عبدالله باقشير.

ومن شيوخه في شمال اليمن:

▪ السيد عبدالله بن علي بن حسن .

تلامذته وأبرز الآخذين عنه:

- ◀ السيد عمر بن علي بن عبدالله باعمر: وهو ابن عمه، وأخص خواص أصحابه، ولد بظفار سنة ١٠٠٢ هـ، وتوفي بالهند سنة ١٠٦٣ هـ .
- ◀ الحبيب علي بن عمر بن علي بن عبدالله باعمر: وهو صاحب الشرح علي نظم شيخه في العقيدة، توفي رحمه الله بصلالة ١٠٩٦ هـ .
- ◀ الحبيب عبدالله بن علوي جبهان باعلوي: ولد بظفار سنة ٩٩٩ هـ، وتوفي سنة ١٠٦٢ هـ بظفار .
- ◀ السيد محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي: وهو صاحب كتاب: ((المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي))، وقد ترجم لشيخه فيه قال رحمه الله: " واجتمعتُ به في ظفار سنة إحدى وخمسين وألف (١٠٥١ هـ)، وقرأتُ عليه كتاب ((التنوير)) لابن عطاء، وبعض ((إحياء علوم الدين))، وقرأت عليه تأليفه المسمى: ((فتح الكريم الغافر في شرح جلبة المسافر)) وسمعت بقراءة غيري كتباً .. " انتهى .
- ◀ قاضي ظفار: الشيخ عمر بن عبدالرحيم بارحاء الشهير بالخطيب .
- ◀ الشيخ أبوبكر بلعفيف صاحب طاقة .
- ◀ الشيخ محمد بن أبي بكر بلعفيف .
- ◀ الشيخ أحمد حاسكي بن الشيخ سعد، وهو أبو زوجة السيد عقيل بن عمران .
- ◀ وأولاده الثلاثة: أحمد، وطه، وزين العابدين .



مؤلفاته:

- (١) كتاب: ((فتح الكريم الغفار في شرح جلبة المسافر)).
- (٢) كتاب: ((منتخب الزهر والثمر في غريب الحديث والأثر)).
- (٣) منظومة في العقيدة، قال الشوكاني في ((البدر الطالع)) في ترجمة السيد عقيل ابن عمران: "وله مؤلفات منها: العقيدة وغيرها، وله نظم بديع الأسلوب. اهـ.
- (٤) كتاب: ((تنبيه النائم وإلا يفعل فسوط العذاب له قاصم)).
- (٥) له كثير من النظم في التصوف والتزكية: قال البشلي رحمه الله: "وله نظم بديع الأسلوب تستحسنه المسامع والقلوب، وأكثر نظممه على طريق الصوفية في العلوم الحقائقية ..".

**وفاته:**

توفي الحبيب عقيل بن عمران - رحمه الله - ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من محرم سنة ١٠٦٢ هجرية حيث شيعه خلائق لا يحصون، ودفن - رحمه الله - بصلالة بمقبرة الرباط، وقبره معروف بها يزار .

رثاه غير واحد منهم تلميذه السيد العلامة علي بن عمر باعمر بقصيدة طويلة أولها:

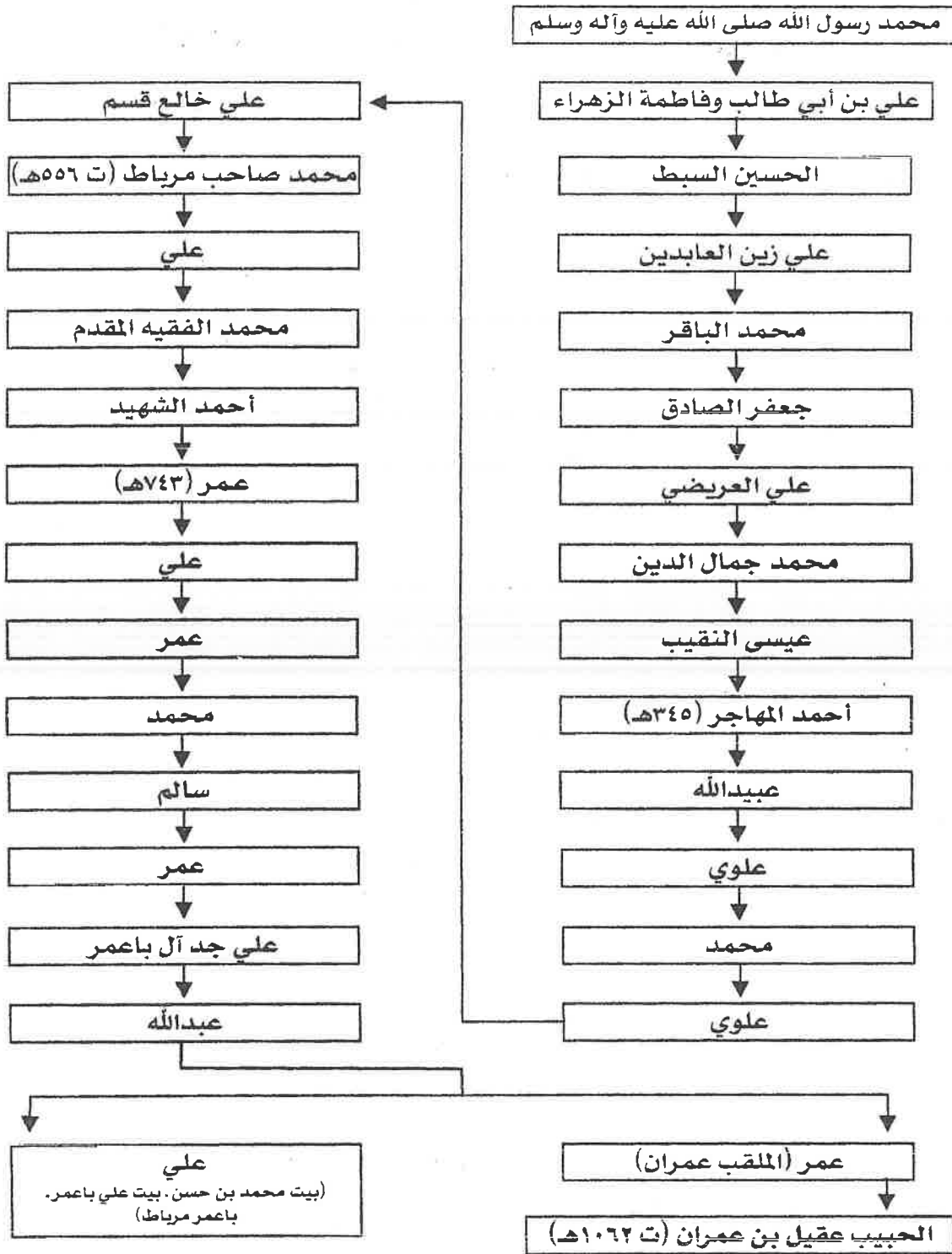
سلام على من حل في لب خاطري وإن غاب عن عيني شهود النواظر
 محب ومحبوب وداع إلى الهدى وفتاق سر السر من قرب قادر

وقال في أثنائها:

وغيال تصنيف ومحضار سطوة	وجيلان بغداد سما عند غافر
وبسطام أحوال وشبلي و شاذلي	أبو الغيث جذبات حظي بالبشائر
فقيه انطوت أحوالهم وتجمعت	فصار إماماً في الحقائق ماهر

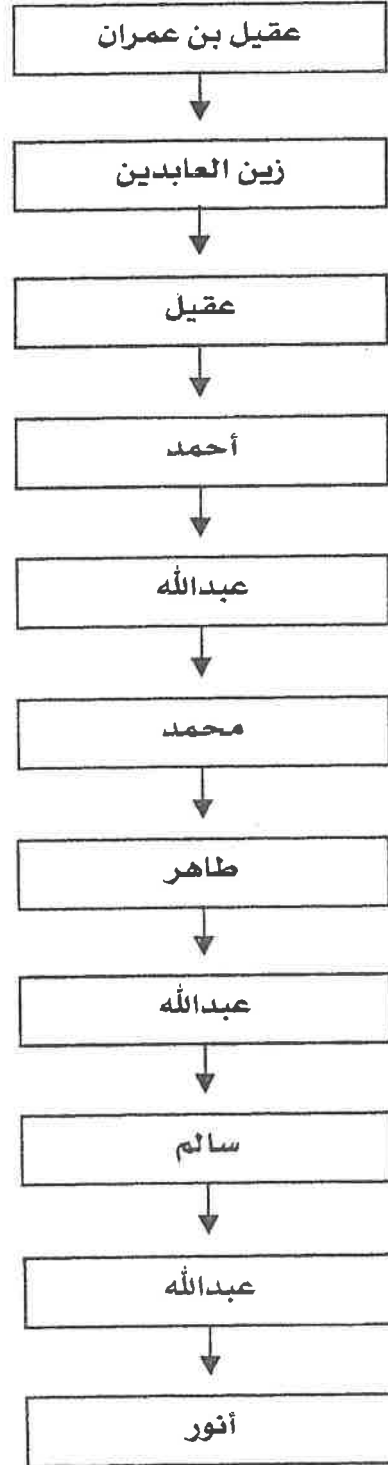


سلسلة النسب الشريف



نسبي إلى جدي الحبيب عقيل بن عمران باعمر

(توفي بصلالة سنة ١٠٦٢ هـ)



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم وأجرى
 بحقيقته القلم وأيقض قلوب السالكين إليه
 عن سيرة العقلة وهداها إلى المنهج الاقوم
 والصراط المستقيم المحكم وافاض عليها من الطافه
 وعافاها من جميع الالتم وانفض همهم العارفين
 عن الزكوة إلى الاغنياء وجعلهم انحر العلم
 ومعادن الحكمة احسنه على ما ألهم واشكره
 شكرا استريد به تراء في النعم واستشهد
 ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنفرد
 بالوحدانية في سابق القدم المنزه عن ان يلحقه
 في خريته حدود او عدم واشهد ان محمدا عبده
 ورسوله المبعوث الى الانس والجن والعرب والعجم
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كثر الفضائل ومحاسن
 الشيم ويحمد فقد خطر لي ايها الاخواني من كل
 عاشق واليه عطشان لا كل يحجب مستند فتان

ان اسر

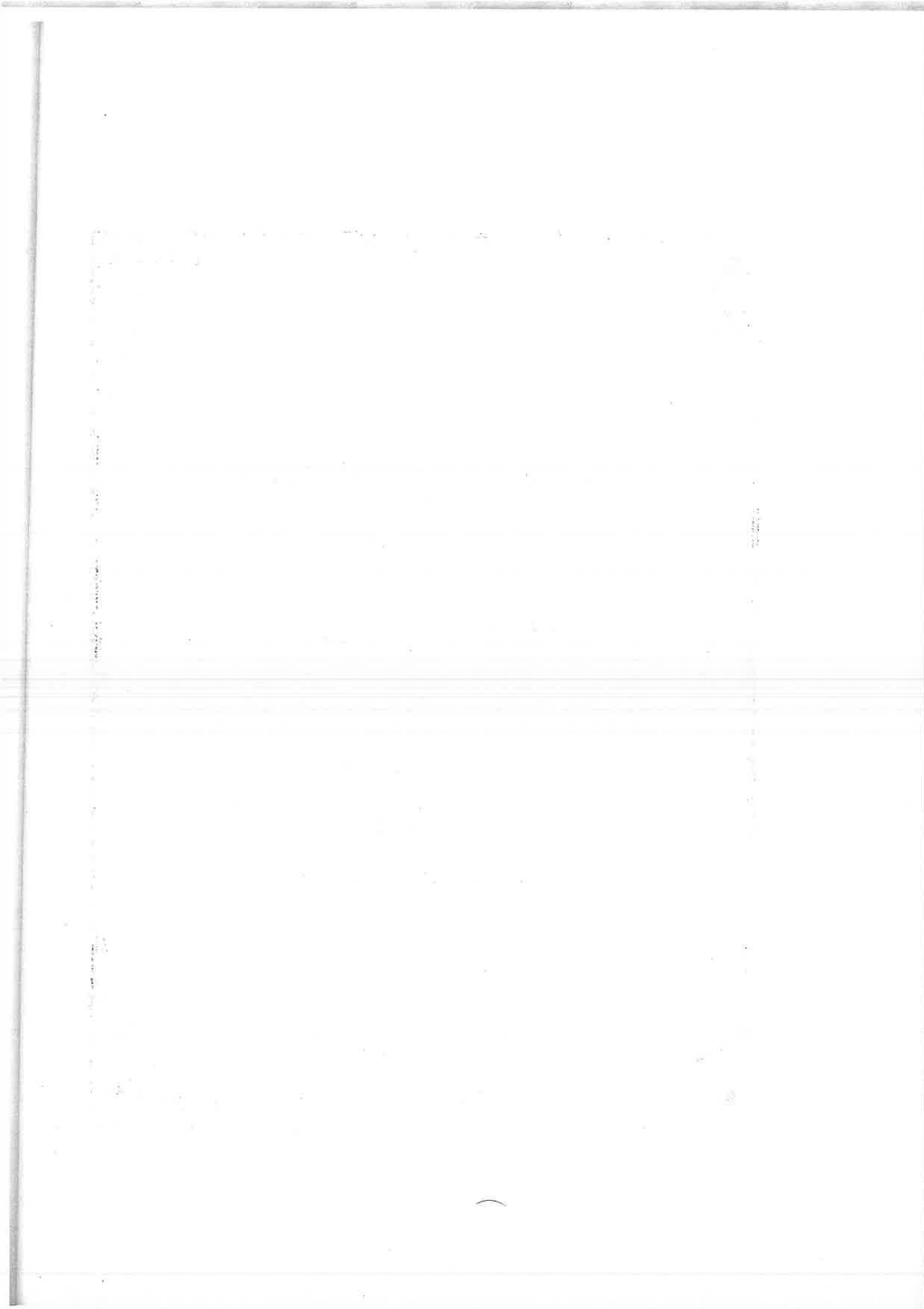
صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط



فتح الكريم الغافر
في
شرح جلية المسافر

العلامة الحبيب
عقيل بن عمران
ولد سنة ١٠٠١ هـ - توفي بصلالة سنة ١٠٦٢ هـ

حقيقه
أنور بن عبد الله سالم باعمر



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عَدَم، وأجرى بمشيئته القَلَم، وأيقض قلوب السالكين إليه عن سِنَةِ الغفلة، وهداها إلى المنهج الأقوم، والصراط المستقيم المحكم، وأفاض عليها من ألطافه، وعافاها من جميع الألم، وانفض همم العارفين عن الركون إلى الأغيار، وجعلهم أبحر العلم، ومعادن الحكم، أحمدته على ما ألهم، وأشكره شكرا أستزيد به ترادف النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنفرد بالوحدانية في سابق القَدَم، المنزّه عن أن يلحقه في آخريته حدوث، أو عدم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المبعوث إلى الإنس والجن، والعرب والعجم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كنز الفضائل، ومحاسن الشيم.

وبعد .. فقد خطر لي أيها الإخوان من كل عاشق واله عطشان، لا كل محبوب متقيد فتان، أن أشرح قصيدة الشيخ المحقق المدقق العارف بالله العالم الرباني سعيد بن عمر المكنى لحاف^(١)^(٢) المدفون بالشحر، نفع الله به وبعلمه أمين . وهي القصيدة الذي مطلعها وأولها: لما بدت لي جلية المسافر .

وذلك بعد أن سئلت من بعض الإخوان الصادقين، وطولبت بذلك مرارا، وحيناً بعد حين، ثم لا زالت الخواطر تجذبني، والواردات تزعجني أشهرا وأعواما

(١) هو أحد علماء القرن الثامن من قرية بلحاف بحضر موت، أمل أن أجده على ترجمة موسعة مستقبلا بإذن الله.

(٢) وفي نسخة: بالحاف.

وسنين، والآن فقد استخرتُ رب الأرباب، أن يكشف عن قلبي الحجاب،
وأتبرأ إليه عن الحول، والقوة، وعن الدعوى، مع كثرة الذنوب والأوزار، وذهول
القلب بالحظوظ العاجلة، والشهوات الزائلة، وتراكم الأغيار، ومع هذا فإني أحبُّ
هذه الطريقة وأهلها، وأبغض المعاصي وإن أتيتُ بمثلها كما قيل شعراً^(١):

أحبُّ الصالحين ولستُ منهم لعل الله يرزقني شفاعته
وأبغضُ من بضاعته المعاصي وإن كنا سواءً في البضاعة

وأقر وأعترف بأني طفيلهم، وطفيلي الكرام لا يطرد، ولا يضام، بل أرجو
أن أكون ممن قال فيهم من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: ((المرء مع
من أحب))^(٢)، وفي لفظ آخر: ((مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ))^(٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، فلا نطول بذكرها،
كيف ومحبة أولياء الله هي عنوان السعادة، كما قال الشيخ العارف أحمد بن علوان
اليمني^(٤) "نفع الله به: كل [عالم] يحتاج إلى من هو فوقه، [بدا أو خفي]؛ فينبغي
أن يكون مفتقراً إليه وإن لم يعرفه، كافتقار الأوتاد إلى الأقطاب"^(٥)، وافتقار
الأبدال إلى الأوتاد، وافتقار الصالحين إلى الأبدال، وافتقار الجهال إلى الصالحين،
فينبغي لكل سالك أن ياتم بهؤلاء، [ويحسن الظن بهم]، ويحبهم ويتشفع إلى الله
بحبهم، ويتمسك بسببهم، وينتسب بنسبهم، وإن لم يعرفهم، فإنَّ الله إذا عرف

(١) ينسب هذين البيتين للإمام الشافعي - رحمه الله - .

(٢) رواه الطبراني وغيره عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

(٣) متفق عليه.

(٤) هو الشيخ صفى الدين أحمد بن علوان الملقب بجوزي اليمن والجنيد الثاني، ولد وتوفي بضواحي مدينة

تعز بشمال اليمن، من آثاره: كتاب ((الفتوح الفائق)) في التصوف، وله كتاب في الوعظ، توفي سنة ٦٦٥

للهجرة . ينظر: الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لعمر كحاله .

(٥) في نسخة: القطب.

ذلك منه، أخبرهم عنه، فكان على خواطرهم [وإن غاب، ومن] جملتهم بين يدي رب الأرباب^(١)، انتهى .

قلت: هذا فيمن لم يعرفهم في الظاهر، فما ظنك بمن تقرب وتجب إليهم بالخدمة، والصحبة، والمحبة، وأحسن الظن بهم، وإدخال السرور على قلوبهم، والانتساب إليهم، فكيف لا يكون في خواطرهم ويعتقوا به! كما روي عن سيدنا ومولانا وذخرنا قطب الأقطاب، شيخ الشيوخ، السيد الشريف: محمد بن علي المقدم باعلوي^(٢) "نفع الله به، أنه قيل له: "أتى خبر وفاة فقير له اسمه أبا خريصة في أرض بعيدة، وقد شاع الخبر بموته، فأطرق ساعة فقال: إنه عادة حيي، فقيل له في ذلك، فقال: إني طففتُ الجنان فلم أجده، وليس لي فقير يدخل النار"^(٣).

نفعنا الله تعالى بحبهم، وحشرنا في زميرهم، وأعاد علينا من بركاتهم في الدنيا والآخرة، فإنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



(١) ينظر: كتاب ((الفتوح الفائق الحاوي لمعاني الرقائق والإشارات الدقائق)) لابن علوان: ص ٣٤٦ .

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط، المشهور بالأستاذ الأعظم الفقيه المقدم أبو علوي، ولد رحمه الله سنة ٥٧٤ هـ بمدينة تريم، تفقه على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باعبيد صاحب ((مصنف الإكمال))، وعلى القاضي: أحمد بن محمد باعيسى، وأخذ الأصول والعلوم العقلية عن الإمام العلامة: علي بن أحمد بامروان والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب، وهكذا في مختلف العلوم له شيوخ أكابر وأئمة فضلاء، توفي رحمه الله سنة ٦٥٣ هـ . ينظر: ((المشروع الروي)) للشلي .

(٣) ذكرها صاحب ((المشروع الروي)) ضمن كرامات الفقيه المقدم عند ترجمته في أول الجزء الثاني، مع اختلاف يسير، وآخرها: بعد قوله: "لم يدخل فقيري النار"، قال: "ثم جاء الخبر بحياته، وقدم هو بعد مدة". ومثل هذه الكرامات من الإطلاع على الغيب أو الإخبار عنه قد يكرم الله به أوليائه وأحبابه ولا ضير في ذلك، وقد قيل: "ما جاز أن يكون معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي". فالأمر لله وحده، وبيده مقاليد الأمر، يفعل ما يشاء ولا راد لقضائه .

[شرح القصيدة]

السفر

قال الشيخ الإمام الناظم رضي الله عنه:

لما بدت لي جلبة المسافر في بحر باحات الهوى زواجر
ناديت يا أهل الود هل مسافر هذي سفينة تطلب المفاخر

قوله رضي الله عنه: (لما بدت لي): أي: ظهرت وانكشفت لي بعين البصيرة، وهي عين القلب ونوره؛ لأن من نار قلبه، وانفتحت بصيرته، نظر هذه الطريق، وسلكها، ودل عليها، وعرف السفر فيها وما يترتب عليه من شروط، وآداب، ومقامات، وأحوال، إلى غير ذلك مما سيذكره المؤلف.

وقوله: (جلبة المسافر): والجلبة هي ما تعمل من الخشب الكثيف في عالم الملك الحسي، فأشار المؤلف بذلك إلى الجلبة المعنوية، والسفر المعنوي، الذي لم يخلق الإنسان إلا لأجله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة هي نفس هذا السفر من موطن الغربة إلى محل القربة، بل الإنسان غريب في هذا العالم بنفسه وروحه، فيجب عليه حينئذ السفر، ويعتني بما يترتب عليه من شروط، وآداب، وغير ذلك مما سيأتي.

وقوله رضي الله عنه: (في بحر باحات الهوى زواجر): والبحر، والباحات إشارات وأمثلة وكنيات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣، الحشر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] إلى غير ذلك من الآيات الشريفة، والأحاديث المنيفة.

وَمَنْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ رُشْدَهُ، واستنار قلبه، استدل بالصنعة على الصانع، وعرف الله في كل شيء كما روي في الكتب السالفة: ((يا ابن آدم: خلقت الأشياء كلها من أجلك، وإنما خلقتك من أجلي)). وذلك للتعرف، والتعبد، كما قال تعالى في الآية المتقدم ذكرها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقيل ليعرفون^(١)، فافهم هديت .

وقوله رضي الله عنه: (ناديت)، امثالا لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنَّوْظِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذه الدعوة عامة، ومطلوبة من الكل، وإنما يفهم ذلك، ويسمعه، ويبادر به، أهل الود، كما قال المؤلف، وأهل الود هم الأولياء السامعون المذكرون كما قال تعالى: ﴿وَلْيَذَكِّرُوا وَلَوْ أَتَيْنِي﴾ [ص: ٢٩] وهم أهل القلوب أيضا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٢٧] الآية .

وأما الغافلون، والمنهمكون، فبعيد أن يسمعوا، وإن يسمعوا لا يستطيعوا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ [الاعراف: ١٩٨] الآية .

وإنما ذلك لموت قلوبهم، وحياة نفوسهم الأمارة، كما قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي^(٢)

(١) هذا فيما قيل في تفسير الآية، ذكره القرطبي في تفسيره عن مجاهد واستحسنه الثعلبي، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ينظر: ((الجامع لأحكام القرآن)) ص ٥٥ - ٥٦، للإمام القرطبي.

(٢) هذا البيت للشاعر المخضرم عمرو بن معد يكرب، وقد أسلم وحسن إسلامه وشارك في بعض الفتوحات الإسلامية . توفي رضي الله عنه سنة ٢١ هـ . وتكملة البيت:

ومن كان هذا حاله، يصعب عليه هذا السفر، لكثرة علايقه وعوايقه،
فلذلك ترى أكثر الخلق عاجزين عن هذا السفر الذي فيه نجاتهم، وصلاتهم،
إلا من اصطفاه الله تعالى، فسمع وأجاب .

وقوله رضي الله عنه: (هل مسافر)، إشارة إلى الخواص، السامعون،
المتهيئون لهذا السفر، والراغبون، لقوله: (هذي سفينة) أي: الجلبة المذكورة،
تطلب المفاخر، وهي السلع الغالية النفيسة، من القرب من الله تعالى، والمعرفة،
والشهود الصرف، العاري عن الشوائب، كما سيقوله ببندر^(١) القربة، وهذه
المفاخر إنما توجد بذلك البندر، فعليك بالتعريج عليه إن شئت السعادة والغبطة
في الدنيا والآخرة، أما ترى أهل الدنيا كيف يخاطرون بأرواحهم ونفوسهم في
ركوب البحور والأهوال، لطلب الفائدة^(٢) الخسيسة المضمحلة، فترى الواحد
يمضي عمره كله في تعب الأسفار، والتغرب لأجل هذه الفائدة الحقيرة، فما لك
أيها المؤمن لا تبذل نفسك، وروحك، في طلب هذه المفاخر .

روي عن الشيخ عبدالرحمن المغربي^(٣)، وكان مقيما بشرقي الإسكندرية

= ولسونار نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في الرماد
ومن شعره أيضا:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

الموسوعة العربية العالمية، ط الثانية.

(١) قال في ((المعجم الوسيط)): (البندر): مرسى السفن في الميناء (فارسي)، ويطلق الآن على البلد الكبير
يتبعه بعض القرى، اهـ.

(٢) كثيرا ما تقلب الهمزة إلى ياء، فلعله تصحيف من النسخ، لذلك أثبت الهمزة في مثل هذه الكلمات.

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد المغربي الحضرمي الأصل الشهير بالمقعد، أرسله الشيخ أبو مدين شعيب
ابن الحسن أو الحسين صاحب المدرسة الشيعية الصوفية بالمغرب إلى الفقيه المقدم فتوفي بمكة، وقبل
وفاته أناب آخر ليوصل مسيره إلى الفقيه المقدم بحضر موت ... ((سلسلة أعلام حضر موت)): ٣٠ / ٥.

أنه قال: "حججتُ في سنة من السنين، فلما قضيت الحج، عزمت على الرجوع إلى الإسكندرية، فإذا قائل يقول لي: إِنَّكَ العام القابل عندنا. فقلتُ في نفسي: إذا كنت العام القابل هاهنا، فلا أعود إلى الإسكندرية، فخطر لي الذهاب إلى اليمن، فأتيت عدن، فإذا أنا يومٌ على ساحلها، فإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم، ومتاجرهم، ثم نظرت، فإذا رجل فرش سجادته على البحر، ومشى [على الماء]، فقلتُ في نفسي: لم أصلح للدنيا ولا للآخرة، فإذا قائل يقول لي: مَنْ لم يصلح للدنيا ولا للآخرة، يصلح لنا"^(١)، انتهى.

وهذا معنى قول الشيخ ابن عطاء^(٢)، حيث قال في ((الحكم))^(٣): "لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى يسير، و[المكان] الذي ارتحل إليه، هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾" [النجم: ٤٢].

وهذا هي غاية المفاخر، الذي قاله المؤلف، ظفّرنا الله وإياكم بذلك، ووفقنا لما هنالك .



- (١) ينظر: ((غيث المواهب العلية)) لابن عباد النفري المتوفى سنة ٧٩٢ هـ، ص ١٣٨.
- (٢) هو أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم الاسكندري الشافلي، صاحب شيخ الشاذلية أبو العباس المرسي، وهو صاحب ((الحكم)) المشهورة، توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ جريا . ينظر: ((الأعلام)) للزركلي، ((البدر الطالع)) للشوكاني.
- (٣) حكمة رقم (٤٢) . ينظر: ((الحكم العطائية الكبرى والصغرى والمناجاة الإلهية والمكاتبات)) ص ١٣، للعارف بالله الشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله الاسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ، للدكتور: عاصم إبراهيم الكيالي.

وقوله رضي الله عنه:

هرا بها التقوى ومنه الألواح

التقوى

أي: أصل هذه السفينة المعنوية وساسها: التقوى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٩] الآية، وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير))^(١).

وقال الشيخ عبدالله ابن أسعد اليافعي^(٢) رضي الله عنه في كتاب: ((نشر المحاسن)): "اعلم أن تقوى الله تعالى هو القطب الذي عليه مدار السعادة، والأصل الذي لا يصلح البناء إلا عليه في العادة، فالسعادة محلها العاقبة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨، القصص: ٨٣].

والأصل الذي يصح عليه بنا العمل، حتى يتم ويقبل، هو تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقال أيضا: "ولعمري إن هذا الأصل المذكور، هو الأصل الذي لا ينهدم البناء عليه على تعاقب الدهور، إذ هو أصل الدين، الذي صاحبه لا يزال يرتقي في رياض السرور والنعم، ويرتقي في مراقبي علا الشرف والكرم، المباين لنعيم الدنيا، وشرفها الحقير الزايل، وناهيك في شرف التقوى قوله عز وجل:

(١) رواه أحمد.

(٢) عفيف الدين أبو السعادات عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ثم المكي، ولد في عدن حوالي سنة ٦٩٨ هـ، وانتقل إلى الحرمين، وكان كثير الترحال، له عدة تصانيف منها: ((مرآة الجنان)) و((عبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان))، و((روض الرياحين في مناقب الصالحين))، وغيرهما، توفي بمكة سنة ٧٦٨ هـ، ودفن بمقبرة المعلاة بجوار قبر الفضيل بن عياض. ينظر: ((البدر الطالع)) للشوكاني. ووجدت في كتاب ((الأعلام)) للزركلي ترجمة لبنته واسمها زينب تلقب بأُم المساكين، قال عنها: عفيفة عارفة بالحديث، خرج لها نجم الدين ابن فهد (مسيخة) كانت تحدث بها وبغيرها.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وكونها أيضاً وصية رب العالمين لعباده الأولين والآخرين، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] انتهى .

قلت: والتقوى أصل كل خير، فمن رزقه فقد رزق العناية والوقاية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وماح للسيئات، ومبدلها بالحسنات، قال صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها))^(١)، وقال عز من قائل كريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

وهو العلم اللدني، الذي لا يوجد بكثرة درس، ولا بتعليم حسي، بل هي مواهب من الله تعالى أزلية سببها التقوى، والتقوى في الظاهر: امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وباطنه: حسن النية، والمراقبة، والإخلاص، إلى غير ذلك مما سيأتي .

فالتقوى جامع لكل المقامات، وأصلها، فلذلك قال المؤلف: وكيلها الطاعة وبذل الأرواح .



(١) رواه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه .

وقال رضي الله عنه:

وكيلها الطاعة وبذل الأرواح

الطاعة

والطاعة: هي الانقياد لما أمر الله به، من واجب، ومندوب^(١)، كما أمر سبحانه وتعالى فقال: ﴿فَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٥٠، الشعراء: في ثمان مواضع - الزخرف: ٦٣]، وقال أيضا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢، التغابن: ١٢] إلى غير ذلك.

فأما الواجبات فهي إذاً كل واجب في وقته بشروطه وكماله، وأما المندوبات فهو كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: ((ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به))^(٢)، وفي لفظ آخر: ((كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا))^(٣).

فناهيك بهذه الفائدة العظمى، وهي ثمرة الطاعة، التي أنالته محبة الله تعالى، التي هي أفضل المطالب، وغاية المأرب، ثم بعد ذلك الفناء عن نفسه، والبقاء بربه، ظفّرنا الله وإياكم بذلك.

ومن الطاعة: تقييد الأوقات بالأوامر، من الصلوات، والأذكار، وغير ذلك على الكتاب والسنة، كما أشار صلى الله عليه وسلم عليها بالنوافل في الحديث المتقدم، وقال الشيخ ابن عطاء: "قيد الطاعات باعتبار"^(٤) الأوقات"^(٥).

(١) المندوب والسنة والمستحب بمعنى واحد، وهو: ما طلب الشارع حصوله طلبا غير جازم، وهو الذي يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. والمندوب أحد الأحكام التكليفية الخمسة: الواجب، المندوب، المباح، المكروه، الحرام. ينظر: ((الوجيز في أصول التشريع الإسلامي)) ص ٤٢-٤٤ للدكتور محمد حسن هيتو.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه ((ويدا ومؤيدا))، والزيادة مذكورة بسندها في ((الرسالة القشيرية)) باب المعرفة بالله.

(٤) في نسخة: بأعيان.

(٥) رقم القاعدة: (١٩٤)، وتكملتها: كي لا يمنعك عنها وجود التسويف، ووسع عليك الوقت كي تبقى =

فينبغي لك أيها السالك هذه الطريق، والمسافر في هذا البحر العميق، أن تحبس نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وتنال بذلك عز الطاعة، وتربح في سفرك أحسن البضاعة، فواظب عليها وإن كنت مع الكراهة أولاً، لتفضي بذلك إلى الراحة، فتعانقها بالتلذذ قلباً وقالباً، فتكون من خواص الله الذين شرح الله صدورهم، وكتب في قلوبهم الإيمان، وبغض لهم العصيان، فبادروا إلى أعمال الطاعات، وسارعوا إلى نوافل الخيرات، فصارت أعمالهم قربات، وهمهم عاليات، فتركوا الشهوات، وتلذذوا بالمناجاة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، حيث صاروا ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦١) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿[النساء: ٦٩-٧٠]﴾.

وقد جاء في بعض الكتب عن الله عز وجل: ((يا ابن آدم: أنا الله لا إله إلا أنا، أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون))^(١).

وفقنا الله وإياكم لذلك، ورزقنا ما هنالك، فاجتهد أيها الأخ، وابذل روحك في طاعة الله، لتنال هذه المواهب العظيمة، والنعم الجسيمة في الدنيا والآخرة.



= لك حصة الاختيار. انظر: ((الحكم العطائية)) ص ٤٢، للدكتور عاصم إبراهيم.

(١) لم أجده.

الثبات على الطاعة لا يتم إلا بتفريغ همك عن محبة الدنيا وشواغلها،
فلذلك قال رضي الله عنه:

والزهد في الدنيا الحبال يا صاح

الزهد

فجعل الزهد حبال هذه السفينة، الذي تضم وتلزم ألواحها بعضها ببعض،
لتثبت وتقوى على السفر المذكور، فالزهد^(١) من أعظم المقامات للسالك؛ لأن
محبة الدنيا، والانشغال بها، تمنعه وتعوّقه عن السلوك، وتكدر عليه طاعته كما ذكر.

فإن ينبغي للسالك إذا أراد السفر، أن يتفرغ أولاً عن هموم الدنيا وشواغلها،
ليستقيم حاله، ويكثر عمله وطاعته، وإن كان قليلاً، كما قال الشيخ بن عطا في
((الحكم)): "ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، وما^(٢) كثر عمل برز من قلب
راغب"^(٣).

أي: راغب في الدنيا محباً لها، فهذا وإن كثر عمله، فهو قليل، وقد روي عن
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ركعتان من عالم زاهد، خير من عبادة
المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً"^(٤).

فإذا ترك العبد المسافر إلى وطنه ما يعوقه من الدنيا، وأعرض عنها بقلبه
وهو لأجل الله تعالى، صفت أحواله، واستقامت أعماله، وكثرت، وخرج من
رق النفوس، وتحقق بالعبودية للملك القدوس، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) يروى عن الحسن البصري قوله: "من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها"، ذكره الغزالي في

((الإحياء))، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا.

(٢) وفي نسخة: ولا.

(٣) قاعدة رقم (٤٥).

(٤) ذكره الإمام الغزالي في ((الإحياء))، كتاب الزهد.

((تعس عبد الدنيا، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة))^(١)، الحديث.

وقال الشيخ ابن عطا في ((الحكم)): "ما أحببت شيئا، إلا كنت له عبدا"^(٢).

ثم اعلم أن الدنيا عدوة الله، ما نظر إليها منذ خلقها، فينبغي للمؤمن أن يفرغ قلبه عنها، الذي هو بيت الرب، كما قال سبحانه وتعالى: ((ما وسعني أرضي ولا سماي، ووسعني قلب عبدي المؤمن))^(٣).

فلا يستوي عدوان في بيت واحد، جل سبحانه وتعالى عما يصفون، فافهم هديت.

وقال الشيخ عبد الله القرشي - رضي الله عنه - : "شكا بعض الناس لرجل من الصالحين، أنه يعمل أعمال البر ولا يجد لها حلاوة، قال له: لأن عندك بنت إبليس، وهي الدنيا، ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها، وهو قلبك، ولا يؤثر دخوله إلا فسادا"^(٤).

وبالجملة فينبغي للمريد السالك هذا السفر الفرار من الشواغل العائقة له عن سفره، من كل شيء، سواء مقصوده ومطلوبه وهو الله سبحانه وتعالى، كما قال الشيخ أبو سليمان الداراني^(٥): "ما شغلك عن الله، من أهل، ومال، فهو مشوم عليك"^(٦).

وهذا هو الزهد الحقيقي .

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قاعدة رقم: (٢١٠)، وتكملتها: "وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا".

(٣) ذكره الإمام السبكي في كتابه المسمى ((أحاديث الإحياء التي لا أصل لها))، والحافظ العراقي أيضا برقم: (٢٥٨٢) وقال: "لم أرى له أصلا".

(٤) ينظر: ((غيث المواهب العلية)) ص ١١٩.

(٥) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، اشتهر بالزهد، وكان من كبار المتصوفة - رحمه الله -، رحل إلى بغداد ثم عاد إلى بلده، توفي بالشام سنة ٢١٥ للهجرة. ينظر: ((الأعلام)) للزركلي.

(٦) ((إحياء علوم الدين)) كتاب آداب النكاح.

قلت: وأما كل ما يقرب إلى الله من مال وولد وغير ذلك، فلا يعد من الدنيا ولكن السالك الضعيف المبتدي الأولى له التجنب والتفرغ، حتى يصل إلى أعمال القلوب، والمعاملة بالباطن، والنيات، والمقاصد، وهذا مقام شريف وعالي منيف، لا يفهمه إلا الخواص، بل خواص الخواص، كما قيل شعرا:

فما يلبس الأقراط من كان أصمًّا ولا يتحلى أجذم بالخواتم
فعلى المريد السالك الزهد في الدنيا، كما ذكر حتى في الخلق بالإيأس منهم وعمّا في أيديهم، ويلزم القناعة، كما قيل: "من أراد من الدنيا ما يكفيه، فأقل شيء منها ما يكفيه، ومن أراد من الدنيا ما يغنيه، فكل شيء منها لا يغنيه".

فإذا زهد السالك المريد وقنع - كما ذكرنا - استراح وتميأ لهذا السفر، بل الزهاد أرواح^(١) الناس في الدنيا والآخرة، كما قيل شعرا:

الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة
إذا أبصرتهم أبصرت قوما ملوك الأرض شيمتهم سماحة
فإذا تم لك أيها المريد هذا الزهد المذكور - بتوفيق الله تعالى ومشيته - استقامت أحوالك، وتمت طاعتك وأعمالك، كما قال الشيخ ابن عطا في ((الحكم)): "حسن الأعمال، نتائج حسن الأحوال"^(٢).

فأتتك حينئذ الفوائد من ثمرات أعمالك، من فيض الكريم الوهاب، ووردت على قلبك طرائق الحكم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((من زهد في الدنيا أربعين يوما، ظهرت ينايع الحكمة من قلبه على لسانه))^(٣)، وفي رواية:

(١) لعله: أريح الناس، بدل أرواح الناس.

(٢) حكمة رقم: (٤٦)، وتكملتها: "وحسن الأحوال، من التحقق في مقامات الإنزال".

(٣) رواه ابن عدي في ((الكامل))، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

((من أكل الحلال أربعين يوما))^(١).

ولكن لا يتأتى الإخلاص، وأكل الحلال، إلا بالزهد في الدنيا والقناعة، وذلك بتوفيق الله تعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقول الشيخ رضي الله عنه: يا صاحب

الصحة

أي: يا صاحب، وفي هذا المعنى إشارة إلى الصحة، وهي من أعظم فوائد السفر، دنيويا كان، أو أخرويا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((الجماعة رحمة، والفراق عذاب))^(٢).

أقول والله أعلم: إذا اتفقت القلوب والقوالب، وتساعدوا، صارت رحمة، وأما إذا تباينت وتناكرت، فالفرقة أولى، والفرار والعزلة أسلم، كما قيل شعرا:

ألا كل مَنْ أهلك عن كسب طاعةٍ عدوٌّ وإن كان الصديق المصافيا

فالصحة الذي يحصل بها النفع، هي صحة المشايخ العارفين، والعلماء العاملين، والإخوان الموافقين، وذلك هم الصوفية^(٣)، قال شيخ الطائفة الصوفية

(١) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء))، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) رواه السيوطي في ((الجامع الصغير))، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، ورواه العقيلي في ((الضعفاء)) عن عائشة رضي الله عنها، وكل الروايات بلفظ: الفرقة وليس الفراق، فلعله تصحيف من النساخ.

(٣) الصوفية رجال برزت فيهم صفات الزهد في الدنيا، وصفاء القلوب، وتركيز النفوس، فسموا بالصوفية، كما سمي من اشتغل بالفقه بالفقيه، وذلك منذ القرون الأولى للإسلام كأمثال مالك بن دينار، وذو النون المصري (٢٤٥هـ)، ورابعة العدوية، والسيدة نفيسة (٢٠٨هـ)، وإبراهيم بن أدهم، والجنيد البغدادي (٣٣٤هـ)، والغزالي، والجيلاني، رحمهم الله، حيث أرسى هؤلاء وغيرهم من علماء الأمة معالم التصوف الصافي، أو إن شئت قلت التزكية أو علم التربية والسلوك أو علم الباطن - ولا مشاحات في الاصطلاح - المؤسس على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "التصوف ليس ما أخذ عن القيل والقال، ولكن أخذ من الجوع، وقطع المألوفات والمستحسنات" اهـ، وقد ذكر الإمام النووي في كتابه ((المقاصد))، أصول التصوف فقال ص ٩١: =

الجنيد نفع الله به: إذا أراد الله بالمريد خيراً، أوقعه^(١) إلى صحبة الصوفية، ومنعه صحبة القراء^(٢).

وقال الشيخ ابن عباد^(٣) في ((شرح الحكم)): "والحاصل أن صحبة الصوفية هي التي يحصل بها الانتفاع"^(٤)، كمال الانتفاع، للصاحب دون من عداهم من المنسوبين إلى العلم والدين؛ لأنهم خصوا من خصائص التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم، وسريان ذلك من الصاحب إلى المصاحب وهو [هو (بدون واو)] غاية الأمل والمطلوب، فقد قيل: من تحقق بحالة لم يخلُ حاضره منها، فمن جلس على^(٥) دكان العطار، لم يفقد الرائحة الطيبة، هذا في الحضور والمجالسة، فما ظنك في الصحبة، والموانسة^(٦). انتهى

وما أعز هذا الشأن اليوم، بل من قادم الزمان، فلذلك حرّضت المشايخ

= "المقصد السابع في أصول طريق التصوف: وهي خمسة: (١) تقوى الله، في السر والعلانية. (٢) اتباع السنة، في الأقوال والأفعال. (٣) والإعراض عن الخلق، في الإقبال والإدبار. (٤) والرضا عن الله تعالى، في القليل والكثير. (٥) والرجوع إلى الله، في السراء والضراء. اهـ. (١) في نسخة: أرفقه.

(٢) ((غيث المواهب العلية)) ص ١١٦.

(٣) هو: الشيخ الفقيه المحقق الرباني أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم النفري الرندي الشافلي الشهير بابن عباد، من فاس بالمغرب، ويعد شرحه على الحكم من أعظم الشروح. توفي رحمه الله سنة ٧٢٩ للهجرة. ينظر ترجمته في مقدمة كتاب ((غيث المواهب العلية))، للمحققين: الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف.

(٤) الصاحب صاحب كما قيل، وخير الأصحاب من يذكرك بالله ويعينك على طاعته، ويروى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قوله لابنه عبدالله: "يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم - يعني الصوفية - فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة". ((تنوير القلوب)) ص ٤٠٥ للشيخ أمين الكردي.

(٥) في نسخة: عند.

(٦) المصدر السابق ص ١١٦-١١٧.

العارفين على العزلة للمريدين السالكين^(١)، ولكنني أقول هذه أمةٌ مرحومة،
والرحمة واسعة، وحسن الظن مطلوب على أي حال، خصوصا وعموما، والساقى
باقي، وقيل في ذلك شعرا:

مُحَسِّنُ الظَّنِّ مُسْتَرِيحٌ خَابَ مَنْ ظَنَّهُ قَبِيحٌ

وقد طال الكلام في ذلك وحق له أن يطول، وهو موافق في هذا السفر .



وقوله رضي الله عنه ونفع به أمين:

أيضا سككها الصوم في الهواجر

يعني سكك هذه الجلبة المذكورة: الصوم والجوع، فهو أعظم معونة
السالك؛ لأن في الجوع خمد النفس، وضعف قواها، ورعوناتها، وشهواتها،
وهواها المبعدة عن الله تعالى، فينبغي للمريد أن يكسرها بالجوع، ويمنعها
عن شهواتها، وعاداتها البهيمية، كما قال الشيخ أبو طالب المكي^(٢) - رضي الله
عنه - : فإذا [فإن] أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق حبلها^(٣) ولا توسع

الصوم

(١) يشير الحبيب العلامة عقيل بن عمران - رحمه الله - إلى تغير أحوال أهل زمانه - فماذا عسانا أن نقول
نحن عن زماننا؟! -، وندرة اتخاذ الصحة على أساس الصلاح والتزكية، لذلك كان الحبيب عقيل بن
عمران لا بدخر جهدا في الإصلاح، وهو القائم على رباط العلم والعلماء، يوجه المعلمين، ويسلك
المريدين للارتقاء بهم إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين، فذلك كان ديدنه، وتلك هي دعوته.

(٢) هو الزاهد الواعظ الفقيه: أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي . توفي ببغداد سنة ٣٨٦ للهجرة .
(الأعلام) للزركلي .

(٣) وفي نسخة: عليها .

عليها^(١)، فإن لم تملكها ملكتك، وإن لم تضيق عليها اتسعت عليك، وإن أردت الظفر بها، فلا تعرضها لهواها، وأحبسها عن معتاد بلاها، فإن لم تملكها انطلقت بك، وإن أردت أن تقوى عليها، فأضعفها بقطع أسبابها، وحبس موادها، وإلا قويت عليك فصرعتك^(٢).

وقال أيضا رضي الله عنه: "ولا يكون المرید بدلا، حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية صفات العبودية، وبأخلاق الشياطين، أوصاف المؤمنين، وبطبائع البهائم، أوصاف الروحانيين"^(٣) انتهى.

قلت: والذي قاله الشيخ أبو طالب، إنما يمكن بعد توفيق الله، بالصيام، والجوع؛ لأن فيه ضعف النفس وخمدها - كما ذكرنا - كيف وقد قال سيد الأنام محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام: ((فإن الصوم له وجاء))^(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: ((داومي قرع باب الجنة، قالت: بماذا يا رسول الله؟ قال: بالجوع والعطش))^(٥).

وقال الشيخ سفيان رضي الله عنه: "العبادة حرفة، وحنوتها الخلوة، وآلتها المجاعة".

وقد قيل أيضا: "إن كثرة الأكل يقل الفهم والعلم، فإن البطنة تذهب الفطنة".
وأیضا: فإن فيها قلة العبادة، والنشاط، وحضور القلب، فإن الإنسان إذا

(١) وفي نسخة: لها -

(٢) ذكره ابن عباد في شرحه على الحكم، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ٩٧، وتكملة كلام أبي طالب المكي: "من الأذكار والعلوم، فعندها يكون بدلا مقربا".

(٤) زواه أحمد، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) قال الحافظ العراقي في تخريجه أحاديث ((إحياء علوم الدين)) (٧٢٨): لم أجد له أصلا.

أكثر الأكل ثقل بدنه وفترت أعضاؤه وغلبته عيناه، فإن قام وتعبد فلا يجد حلاوة الطاعة ولذة المناجاة، وذلك لحجاب قلبه عن الملكوت، وقوة حواس نفسه وشهواته .

وقال بعض العارفين: "الجوع رأس مالنا" .

يعني ما يحصل به من صفا القلب وتحليه وتلذذه بالطاعة وتملقه بالمناجات إلى غير ذلك، والحمد لله جربنا ذلك، فرأينا فيه منافع كثيرة، وفوائد غزيرة، لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه .

وقال بعض الصالحين: "إن رداة هذه النفس وجهلها، بحيث إذا همت بمعصية، أو انبعثت الشهوة فيها، لو تشفعت إليها بالله تعالى، ثم برسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وجميع أنبيائه عليهم السلام، وكتبه، وبجميع السلف الصالح من عباده، وتعرض عليها الموت، والقبر، والقيامة، والجنة والنار، لا تُعطي القياد، ولا تترك الشهوة، ثم إنك إن استقبلتها بمنع رغيف لسكنت، وتركت شهواتها .

قلت: ولهذه العلة، أمر المشايخ رضي الله عنهم بالصوم والجوع، ولكن احذر أيها المريد الإفراط، فلا إفراط ولا تفريط، وخير الأمور أوسطها، كما قال الشيخ ابن عربي^(١) رضي الله عنه في كتاب ((تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان)) قال رضي الله عنه: "واعلم إن جُوع السالك اختياراً، فيكون على قدر

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بمحيي الدين ابن عربي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها: ((الفتوحات المكية)) في التصوف و((علم النفس))، و((فصوص الحكم))، وله ديوان شعر . كثر فيه القول بين مدح وذم ونسب إليه القول بوحدة الوجود والحلول، وللإمام الشعراي كتاب في الدفاع عنه وبرأته من تلك التهم، وهو مطبوع تحت عنوان: ((القول المبين في الرد عن الشيخ محي الدين))، توفي ابن عربي في دمشق سنة ٦٣٨ هـ . ينظر: ((الأعلام)) للزركلي .

موزون، لئلا يفرط فيؤدي إلى إفساد المزاج والهوس والوسواس، فلا سبيل
للسالك إلى الإفراط إلا بإذن الشيخ، ولكن عليه التقليل وتخفيف المعدة، وأحبه
أن يكون موزونا بالنوى أو حصيات، يزيل كل يوم قدر نواة أو حصاة لا غير،
هذا إن عزم على التقليل رأسا، وإلا فليلزم الصيام، وأكلة واحدة في اليوم والليلة
وسطا، ولا يتعدا فيما ذكر في سبيل المريد، إن أحب أن ينتفع بنفسه، ومن كان مع
شيخ فقد كفى، فليعمل على قوله فهو أخبر بمصلحته منه، وأما المحقق فلا يجوع
نفسه إلا اضطرارا، سيما إن كان في مقام الهيبة وكسر الصفات، فإنه يكثُر أكله
لشدة سطوات نيران الحقائق في قلبه بالعظمة وشهوها، وهي حالة المقربين،
ولكن قد يقلل عمدا على قصد اللحاق بأهل الأنس، فهو بذلك يجتمع
بالسالك، فجوع السالكين ينور القلب ويرقه، وهو مفتاح الخيرات، إذ التَّهْمَةُ^(١)
مفتاح الشرور، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((الشیطانُ یجری من ابن آدم
مجری الدم، فضیقوا مجاریه بالجوع والعطش))^(٢).

وعن عيسى عليه السلام قال: ((يا معشر الحوارين: جوعوا بطونكم،
وعطشوا أكبادكم، لعل قلوبكم ترى الله تعالى)). وبه ينفتح باب الزهد في الدنيا
وهو مطلع الآخرة^(٣)، انتهى كلام الشيخ ابن عربي.

وقد بان لك فائدة الصوم، والجوع، وثمرته، فلذلك أمر به الناظم.

(١) قال في ((لسان العرب)) لابن منظور مادة (نهم): "التَّهْمَةُ: بلوغ الهمة والشهوة في الشيء. وقال أيضا
عن ابن سيده: "والنَّهْمَةُ: إفراط الشهوة في الطعام، وأن لا تمتلئ عين الآكل ولا تشبع". اهـ.
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته: منهوم في طلب
العلم، ومنهوم في طلب الدنيا)) ذكره الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): ١/ ١٤٠.

(٢) رواه مسلم بدون زيادة: ((فضيقوا مجاریه بالجوع والعطش)).

(٣) لم أجد المصدر.

ثم قال نفع الله به:

وطلعوها بأكمل البلايا والحزن والمحن لها زوايا

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [عمد: ٣١] الآية، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْرِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إذا أحب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتبه، وإن رضي اصطفاه))^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال أوصني: ((لا تتهم ربك بشي قضاء عليك))^(٢).

البلايا
والحزن
والمحن

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: ((عجبا لأمر المؤمن، أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له))^(٣).

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما يُصِيبُ المؤمنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ، حَتَّىٰ أَهْمَ يَهْمُهُ، إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))^(٤).

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده في كل ما أراد، وقضى، وقدر، فهو خير لهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

- (١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث ((الإحياء)): "ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يخرج له ولده في مسنده. وفي ((مجمع الزوائد)): ٢/ ٢٩١: عن محمود ابن ليبد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إذا أحب الله قوما ابتلاهم، فمن صبر فله الجزاء، ومن جزع فله الجزع)) قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الثقات".
- (٢) هو جزء من حديث رواه الطبراني، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
- (٣) أخرجه مسلم، عن صهيب الرومي رضي الله عنه.
- (٤) متفق عليه.

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١٦﴾.

ثم إن النفس مجبولة على حب الشهوات الحائلة، وطلب اللذات الزائلة، ومراد الحق إصلاحهم واجتباؤهم، فحيث داواهم واجتلاهم، وإنما يفعل ذلك بأحبابه ليصطفاهم، كما قال صلى الله عليه وسلم لما سُئِلَ: أي الناس أشد بلاء قال: ((الأنبياء ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليتلى بالفقر فلا يجد إلا عباة، وإن كان أحدهم ليتلى بالقمل حتى يقتله، وإن كان أحدهم يفرح بالبلايا كما يفرح أحدكم بالرخاء))^(١).

وكان بعض السلف الصالحين رضي الله عنهم يستوحشون إذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من مال، أو نفس. وقال بعضهم: "إنما حمل فرعون إذ قال إنا ربكم الأعلى، طول العوافي، والغنى؛ لبث أربع مائة سنة لم يصدع رأسه، ولم يحم جسمه، ولم يضرب عليه عرق، فادعى الربوبية، ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية، نعوذ بالله من مكر الله".

فإذا ينبغي للمريد أن يتلقى ما يرد عليه من الابتلاء والمحن بالصبر، حتى يحصل له مقام التسليم والرضا، وتنقلب المحنة منحة، ويكون قائما مع الله وبالله، منشرح الصدر، منور القلب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ ﴿الزمر: ٢٢﴾.

قال الشيخ ابن عطا في ((لطائف المنن)) في أول اجتماعه بشيخه أبو العباس المرسي: "فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك، فقال: أحبك الله كما أحبتني".

(١) رواه ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثم شكوت إليه ما أجد من هموم وأحزان فقال: "أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية. فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر"^(١)، [وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر]، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار، قال: فقامت من عنده وكأنها كانت تلك الهموم والأحزان ثوبا نزعت، قال: ثم سألتني بعد ذلك بمدة فقال: كيف حالك؟ فقلت: أفتش على الهم فلا أجده"^(٢).

وقال سيدنا وابن شيخنا، السيد الشريف، القطب الغوث، أبوبكر بن عبدالله العيدروس باعلوي^(٣) نفع الله به آمين: "كم أمور في ابتداءها هائلة، ثم أعقباها السلامة والهناء".



(١) هنا تصحيف وسقط في المخطوط، وما أثبتناه الصحيح، كما في كتاب ((غيث المواهب العلية)) ص ٢٤.

(٢) ذكر القصة ابن عباد في أكثر من موضع من كتابه ((غيث المواهب العلية)) ص ٢٤، ٢٥، و ٢٨٨.

(٣) هو السيد الشريف أبوبكر (صاحب عدن) ابن عبدالله العيدروس بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف، ولد سنة ٨٥١ هـ بتريم الغناء، استوطن عدن وشيد فيها مسجده ورباطه، وكان نبراسا يشع منه نور العلم. مات بعدن سنة ٩١٤ هـ. ((سلسلة أعلام حضرموت (١٣))) للعجيب أبي بكر العدني المشهور، ((معجم المؤلفين)) لعمر كحاله.

ثم إذا حصل للمريد الصبر، وفوائده المذكورة، بمعونة الله تعالى وتوفيقه، فلا يشتغل إلا ما هو متعلق بسفره، ويترك ما سواه .

كما قال الناظم رضي الله عنه:

ومن طلبها يترك الحكايا

ترك
الشواغل

أي: من طلب الركوب في هذه السفينة، والسفر فيها إلى مطلوبه مقصوده، فيترك حيثئذ الحكايا الشاغلة له عن سفره، فلا يكون همه إلا مطلوبه ومقصوده، الذي ذكرنا، ويترك كل شيء سواه، من النزعات، والحكايا المذمومة، والأوهام، والخيالات، ولا يلتفت إلى شيء من التواني، والغفلة، والمناظرة، كما قال الشيخ نفع الله به أمين:

من رام يركبها فلا يناظر

ولا يتوانا، بل يبادر وينهض على أي حال كان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] أي: بالذنوب، والأشغال، والعوائق الذي ذكرناها فيما تقدم .

فينبغي لك أيها المسافر والطالب، أن تبادر إلى الركوب، والعزم بالجد والاجتهاد، وتستعين بالله، وترجع إليه في كل أشغالك ومطالبك، كما قال صاحب ((الحكم)): "من علامة النجاح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات" (١). وقال أيضا: "ما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، ولا تعسر مطلب أنت طالبه بربك" (٢) .

فينبغي للمريد أن يجتهد وينهض امثالاً للأمر، وهو معنى قوله تعالى:

(١) حكمة رقم: (٢٦) .

(٢) حكمة رقم: (٢٥)، ذكرها الدكتور عاصم في كتابه ((الحكم العطائية)) كالتالي: "ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك" .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] ثم يستعين بالله، ويفنى عن مراده، وحوله، وقوته، ويبقى بحول الله وقوته .

فالشريعة مقتضاها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والحقيقة ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]^(١)، فعلى العبد الموفق لهذا السفر، القيام بهذين الأمرين، فمن أعطاها فقد أوتي خيرا كثيرا، كما قال الشيخ ابن عطا في الحكم: متى جعلك في الظاهر ممثلا لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره، فقد أعظم المنّة عليك^(٢).

فانهض حيثنذ، واستعن بالله - كما ذكرنا - ولا تسوف، قال الشيخ ابن الفارض^(٣) رضي الله عنه شعرا^(٤):

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا
وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالملت في "عسى"
وإياك "مهلا" فهي أخطر علة
وسر زمننا وانهض كسيرا فحظك
البطالة ما أخرت عزمنا للصحة
وجد بسيف العزم "سوف" فإن تجد
تجد نفسا فالنفس إن جذت جذت

(١) لابن قيم الجوزية كتاب قيم في التصوف، ذكر فيه مقامات الترقى في سلم السالكين . واسم الكتاب:

((مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)).

(٢) حكمة رقم (١١٠) .

(٣) هو: شرف الدين عمر بن علي بن مرشد ابن الفارض الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة،

يلقب بسلطان العاشقين . توفي رحمه الله سنة ٦٣٢ هـ . ينظر: ((الأعلام)) للزركلي .

(٤) ذكرها ابن عباد في كتابه ((غيث المواهب العلية)) ص ٧٨ .

فهذا أيضا موافقا لما قاله المؤلف، من عدم المناظرة والتسوية، ومع هذا فإن أشغال الدنيا تتداعا بعضها بعضاً، وطالب الفراغ منها مغرور، وإنما عليك أن ترميها على أي حال كان، كما قيل: "إرم بالقيود، لا عاش منه مقيد".

بل العاقل يتربح الموت في كل نفس، فما له وللمناظرة في هذه الفانية، وإنما شغل العاقل فيما خلق له، وإنما خلق لهذا السفر المذكور، الذي فيه مرجعه إلى موطنه الأول، من غربة الأكوان إلى حضرة الرحمن، وهذا هو غاية المطلب والمرام، الذي عناه الشيخ الناظم رضي الله عنه ونفع به، آمين.



قال الناظم رضي الله عنه:

إن رام ما راموه أهل الأسفار خاطر والريح ربح الاتجار
ولا يحسب ضررها والأخطار والريح في المعنى لمن يخاطر

الريح وعدم
الالتفات إلى
الأخطار

قوله: إن رام، أي: طلب ما طلبوه أهل الأسفار في سفرهم، من الفوائد والغنائم، وهذا يحتمل السفرين لطلب الدنيا، وطلب الآخرة، أما ترى أهل الدنيا كيف يخاطرون بأرواحهم وأموالهم، ويسافرون في ركوب البحار وقطع الفيافي والقفار، فترى الواحد منهم يمضي عمره كله في هذا السفر، وإنما جرّه إلى ذلك طلب الفائدة الخسيسة المضمحلة، وأيضا مع هذا، إذا حصلت له أدنى فائدة فرح واستغنم، ونسي ما لقيه من التعب، والنصب، والضرر، والأخطار.

وأنت أيها الطالب الراغب المسافر في طلب السعادة في الدنيا والآخرة

والقرب من الله، فخاطر فيما تطلب، ولا تجزع، ولا ترتاب، ولا يمنعك عن نهج الصواب لوامع السراب، فتحرم الشراب، بل اعزم - كما ذكرنا - وتوكل على الله في سفرك، ولا تحسب ضر هذا السفر ولا الأخطار، كما قال الناظم فيما تقدم .
 وقوله أيضا: "والريح ربح الاتجار" أي: كثرة السلع والأموال. وأنت أيها المؤمن إنما سلعتك نفسك وروحك، وأهلك ومالك، فأسلمهم لخالقهم المان عليك، أولا: بالإيجاد، وثانيا: بالمشتري، وتوالي الإمداد، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] الآية .

واعلم أن الجنة جنتان: كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] فأقول: هما جنة العرفان، وجنة الولدان^(١)، فجنة الولدان لأهل اليمين، والبله^(٢)، والصبيان، وجنة الفرقان مطلب الكمل من الأنبياء، والأولياء والصديقين المقربين، رضي الله عنهم أجمعين، وهذا هو المرام الغالي العالي لأهل الهمم في طلب المعالي، وهو عز الدنيا والآخرة، الذي قاله الشيخ أبو الحسن الشاذلي^(٣) رضي الله عنه في ((الحزب الكبير)): "تسألك عز الدنيا والآخرة، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة، فهذا هو الزبح الذي هو في المعنى لمن يخاطر".



(١) لم أقف على هذا التفسير .

(٢) بِلَّة: بلها، وبلاهة: ضعف عقله، وغلبت عليه الغفلة، فهو آبله، وهي بلهاء، جمعه: بُلّه . ((المعجم الوسيط)).

(٣) هو: الشيخ علي بن عبدالله بن عبد الجبار المغربي شيخ الطريقة الشاذلية، له ورد يعرف بحزب الشاذلي .

توفي رحمه الله بصحراء عيذاب وهو في طريقه إلى الحج سنة ٦٥٦ هـ . ((الأعلام)) للزركلي .

وقوله رضي الله عنه ونفع به أمين:

وَقِيدُوا سَكَائَهَا بَعْلَمَيْنِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ مُجْتَهِدٌ بَاثْنَيْنِ
يَذُبُّ عَنْ قَلْبِي غِيَاهِبَ الرِّينِ وَبَاطِنُهُ أَوَّلٌ وَكَانَ آخِرَ

أي: تقليد الجلبة^(١) المذكورة بالسُّكَّانِ^(٢)، لتسلم من الزيغ والشطط، وتستمر في سيرها، أمّا إذا لم يكن لها سُكَّان، فلا تنجح في سيرها، ولا تصل إلى البندر المقصود، وربما هلكت وانكسرت، وهلك ما فيها ومن فيها، فهكذا هذه السفينة إذا لم تكن مقيدة بَعْلَمَيْنِ^(٣) ظاهرٌ وباطنٌ، كما قال الشيخ؛ يحير سالكها، ويتعوق في سيره وسفره، وصار يخبط يخبط عشواء في ظلمة الجهل، والذي يفسده في اجتهاده أكثر مما يصلحه، وأمّا إذا اجتهد بالاثنين كما قال الشيخ أي: العلمين، فقد أتى البيوت من أبوابها، فيوشك أن ينجح في سفره، ويتيسر ويستقيم ويهتدي إلى الصراط المستقيم.

فالعلم الظاهر: ما يجب عليك من معرفة أحكام الظواهر من العبادات الظاهرة، من الصلاة وما يتعلق بها، وكذا الحج، والصيام، والزكاة، وغير ذلك من معرفة الحلال والحرام، فهذا كله متعلق بعلم الظاهر، وكذلك علم العقائد، بل هو مقدم على ما ذكرناه من علم الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم: ((بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وإقام

(١) وفي نسخة: السفينة.

(٢) (السُّكَّان): ما تسكن به السفينة، وتمنع من الحركة والاضطراب، وتعديل به في سيرها. ((المعجم الوسيط))، مادة: سكن.

(٣) يقصد الناظم بالعلمين كما سيبيته الشارح: علم ظاهر الشريعة، وهو علم أصول الدين وأصول الفقه وفروعه والتفسير والحديث...، وعلم باطن الشريعة، الذي أساسه أعمال القلوب وصفاءها وخلوصه من الشوائب والعلل.

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان))^(١).

فيجب عليك حينئذ أن تتعلم ما يجب في حق الله، وما يجوز، وما يستحيل، وذلك مشهور في عقائد أهل السنة، وقد ذكرناه في عقيدتنا المنظومة الذي أولها^(٢):

شهدتُ بأنَّ اللهَ أولُّ أولا ولم يخلق الأشياءَ إلا تفضُّلا
وفيه ظاهر وباطن فلا نطول بذكره .

وأما العلم الباطن الذي ذكره الشيخ الناظم رضي الله عنه فهو أيضا على قسمين: ذكره الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في ((الإحياء))، قال رضي الله عنه: "فالقسم الأول: علم المكاشفة: وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به، وتسليمه لأهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم: بدعة وكبر، وقيل: من كان محبا للدنيا، أو مصرا على هوى لم يتحقق به، وقد يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من يُنكره أن لا يذوق منه شيئا.. وهو علم الصديقين والمقربين. انتهى قول الغزالي^(٣)، وفيه تطويل أيضا فاقصرنا منه على ما ذكر طلبا للاختصار.

وأما القسم الثاني الذي ذكره الشيخ في ((الإحياء)) بقوله: "وهو علم

(١) متفق عليه.

(٢) ذكر الشلي في كتابه ((المشرع الروي)) عند ترجمة الحبيب عقيل بن عمران بعض مؤلفاته منها نظمه في العقيدة، كما ذكر بعض من شرحها منهم: الشيخ أحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاشي، وتلميذه الشيخ علي بن عمر باعمر، ولم أقف على هذا النظم إلى الآن.

(٣) ((إحياء علوم الدين))، كتاب العلم ص ٢٢، لحجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

المعاملة بالباطن، وهو علم أحوال القلب: أمّا ما يُحمد منها: فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا ومعرفة المنّة لله تعالى في جميع الأحوال ..^(١) [انتهى] إلى غير ذلك من صفات الإيمان .

ثم ذكر الشيخ أيضا أضدادها، وهي من صفات المنافقين، وهي الصفات المذمومة: كالرياء والعجب والغل والحسد والحقد إلى غير ذلك أيضا، فيجب عليك التخلي عن هذه الصفات المذمومة، والتحلي بالصفات المحمودة، وهذا هو معنى العلم الباطن الذي ذكره الشيخ الناظم .

ثم اعلّموا أن العلم هو أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، كيف والعلماء ورثة الأنبياء، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((إنّ نوماً على علم، خيرٌ من صلاةٍ على جهل))^(٢)، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .

وكل ما ورد في الكتاب والسنة بفضل العلم والعلماء، لا يرجي حصول ذلك إلا لمن صحّت له النية، بأن يكون طلبه مرضاة الله تعالى، واستعمال العلم فيل يقرب إلى الله من العبادات والمعاملات، والخروج عن ظلمة الجهل إلى نور العلم .

فهذه النية إذا صحّت هي التي يُحمد عاقبتها آجلاً، وتُجنى ثمراتها عاجلاً، وهي مطلوبة في كل حين وأوان، قال صلى الله عليه وسلم: ((كل يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم))^(٣) .

(١) ((إحياء علوم الدين))، كتاب العلم ص ٢٢، لحجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

(٢) لم أجده .

(٣) رواه الطبراني في ((الأوسط)) عن عائشة رضي الله عنها .

وهذا هو العلم النافع الذي يُورثُ الخشية كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].
وقال الشيخ ابن عطا في ((الحكم)): "العلم إن قارنته الخشية فلك، وإلا فعليك" ^(١).

وقال الشيخ ابن عباد أيضا في ((شرح الحكم)): "واعلم أن العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف، [إنما هو العلم الذي يؤدي بصاحبه إلى الخوف، و] الخشية، وملازمة التواضع، [والذلة]، والتخلق بأخلاق الإيمان، وتوافق الأسرار والإعلان، إلى ما يتبع ذلك [من] بغض الدنيا، والزهادة فيها، وإيثار الآخرة عليها، والموالاتة في الله تعالى، والمعاداة فيه، والحرص على التفتن للأسباب الباعثة [له] على الاستقامة، ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى، فإراعيها حفظا وطلبا، ومعرفة الأسباب الصادة ^(٢) له عن ذلك [فإرفضا] رفضا وهربا، إلى غير ذلك من الصفات العلية، والمنايح ^(٣) السنية، فبهذا كله تحصل له فوائد العلم، وثمراته الدنيوية والأخروية، فإن [خلا] طالب [العلم] عنها، أو عن بعضها، فإن كان ما يطلبه علما حقيقيا، كان حجة عليه، وإن كان رسميا كان وبالا عليه، وإصلا إليه والعياذ بالله من ذلك" ^(٤). انتهى كلام الشيخ ابن عباد وهو في غاية الحسن والجمال.

فبان لك أيها المسافر، هؤلاء العلمين الظاهر والباطن، فاجتهد بهما في

(١) حكمة رقم (٢٣٣).

(٢) في نسخة: المضادة.

(٣) في نسخة: والمناجي.

(٤) ينظر كتاب ((غيث المواهب العلية)) لابن عباد ص ٣٥٣. وما أثبتناه بين قوسين [سقط من النسخ] عفى الله عنا وعنهم.

نسفر، وقيد بهما سفيتك لتصل إلى مطلوبك ومقصداك، وتسلم من الزيغ والشطط، وتذهب عنك غياهب الرين، وهي الشكوك والظنون الفاسدة الحائلة الزائلة، وتنظر بنور العلم، وتخرج من ظلمة الجهل، وتحظى بعلوم لا يمكن تسطيرها كما قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ يورثه الله عِلْمَ مَا لم يعلم))^(١).

وهذا العلم هو غاية المطلوب، الذي أشار إليه الشيخ بقوله: "وياطنه أول وكان آخر".

وقد أوحى الله في بعض الكتب: (يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء، مَنْ ينزل به، ولا في تخوم الأرض، مَنْ يصعد به، ولا من وراء البحر، مَنْ يعبر فيأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي تأدب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين، أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم))^(٢). انتهى

وهذا هو علم المكاشفة الذي ذكره الشيخ الإمام الغزالي فيما نقلنا بعض كلامه من ((الإحياء))، وهو بحر عميق لا يوجد له قعر، فلا يعثر عليه بل على بعضه إلا من وفقه الله بالاستقامة بالعلم، والعمل، والإخلاص، فتتكشف له علوم ومعارف وأحوال، وغير ذلك على ما قسم له في الأزل، بإذن الواحد الصمد، وما ذلك على الله بعزيز.



(١) أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ((إحياء علوم الدين))، الباب السادس من كتاب العلم.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه:

هذا التجهز بحرّة التوكّل عمارة التجهيز للتوصل

التوكّل

أي: تجهيز هذه الجلبة المذكورة بما تحويه من هيراب، وألواح، وغير ذلك مما ذكره سيأتي، وقوله: "بحرّه التوكّل"، إذ المسافر في البحر لابد أن يكون متوكلا بالضرورة حسا ومعنى، خصوصا في هذا السفر الخطر، لكثرة قطاعه الباطنة والظاهرة، ومن أعظمها أربعة، ذكرها الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله:

إني بليت بأربع يرميني بالنبل عن قوس لها توتير
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

فينبغي للسالك المسافر هذا البحر التوكّل والاستعانة بالله، كما تقدم عند قوله: "ولا يحسب ضررها والأخطار"، وهو موافق لهذا المعنى أيضا، كيف وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتوكّل فقال عز من قائل كريم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وأمر بالاحتساب على ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافله وكافيه، وموقيه في أمور الدنيا والآخرة، والتوكّل هاهنا في أمرين: في الرزق المضمون، والسفرين المذكورين.

أما في أمر الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصا، وتروح بطانا))^(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ثم أقسم بقوله: ﴿قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَّا أَنتُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] والآيات والأحاديث كثيرة في

(١) أخرجه الترمذي، والحاكم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

التوكل وفضله، ولا على هذا مزيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
وأما التوكل المعنوي في هذا السفر المذكور فإليه الإشارة بقوله عز من قائل:
﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ثم اعلم أنه لا بد للمسافر السالك هذا البحر المتوكل فيه من السعي والجهد،
كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] في الآية السابقة، فأمر بالمجاهدة أولاً، ووعده بالهداية
ثانياً، فقال: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الشيخ سعد بن علي^(١) تاج العارفين نفع الله به: "الرزق رزقان، رزق
القلوب، ورزق الأجسام، فالطالب لرزق القلوب مرزوق الاثنين، وطالب
لرزق الأجسام يعيش كالبهيمة .

وفيه كلام طويل اقتصرنا منه على هذا، وهو موافق لما نحن بصدده، فبان
لك أنه لا بد من السعي، والجهد، والاجتهاد، والتوكل على الله، وحسن الظن في
التيسير إلى الوصول، وتوالي الإمداد، فحقَّ على العبد الوقوف على الباب، ومن
الله سبحانه وتعالى كشف الحجاب .

وقوله: "عمارة التجهيز للتوصل" أي: إذا توكل السالك المسافر هذا
البحر، وصح توكله وإيقانه، حصل له التوصل والوصول إلى مقصده ومطلوبه

(١) هو: الشيخ سعد بن علي الشحري الظفاري، من علماء ظفار في القرن السابع، كانت بينه وبين الفقيه
المقدم وهو في مقتبل عمره مكاتبات ونصائح . توفي رحمه الله سنة ٦٠٧ هـ . ينظر هامش ((سلسلة أعلام
(٥) حضرموت)) للعدني ص ١٩ .

بإذن الله تعالى وتيسيره وهدايته، وأتته النفحات والمواهب بالرياح الطيبة
الوطيئة، والأمواج الساكنة الهنيئة .



[قال الناظم رحمه الله:

وأمتت جلبته تنقله غاية التنقل تجريها سابات دمع سابر]

وأمتت جلبته تنقل غاية التنقل، أي: تترقا وتنزل من مقام إلى مقام بتيسير
الملك العلام .

التنقل
في المقامات

تجريها سابات دمع سابر: والسابات هنا كناية أيضا إلى السابات الحسية،
لكنها مصحوبة بالتيسير والإمداد والرياح الطيبة - كما ذكرنا - بخلاف
السابات الحسية، وقوله: "دمع سابر"، والدموع هنا مختلفة: دمعة خوف،
ودمعة شوق، إلى غير ذلك باختلاف الأحوال، فأما دمعة خوف العذاب
فللعوام، ودمعة خوف الفوات للخواص، ودمعة الشوق لخواطر الخواص أهل
اليقين والإخلاص، لا حرمانا الله وإياكم هذه الموارد بحق الله الكريم الماجد .



وقوله رضي الله عنه:

صفوا مزاهيها بصف الأقدام جعلوا نحول الجسم وسطها أعلام
صلاتهم بالليل وقت الإظلام يخاطبون الرب وهو غافر
أي: صفوا مزاهي هذه الجلبة بصف الأقدام، لكثرة الصلاة والقيام فيها.

نحول الجسم
وصلاة الليل

وقوله: "جعلوا نحول الجسم وسطها أعلام" قد تقدم معنى ذلك في
الجوع والصوم، وقوله: "صلاتهم بالليل وقت الإظلام" أي: ظلام الليل
وهذوء الأصوات والحركات، والخلوة بالحبيب والتلذذ بالتملق بالمناجات،
كما قال: "يخاطبون الرب وهو غافر" أي: يغفر لهم ما اكتسبوه في نهارهم من
اللغو مع الخلق، وهي اللّم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ
وَالْفَوْحِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٢٢] فإذا تابوا إلى مولاهم ورجعوا إليه وشكوا قصصهم
عليه، قبلهم وتولاهم وناداهم وصافاهم، كما روي في ((صحيح مسلم)) أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: ((إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله
خيرا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه، وذلك كل ليلة)).

وفي ((الصحيحين)) أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((ينزل ربنا كل ليلة إلى
سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعيني فاستجب له، من
يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)).

قلت: وهذه الساعة في كل ليلة، مثل ليلة القدر في كل سنة، وهي مبهمة في
الليل أيضا، فلذلك أمر بقيام الليل لطلب المغفرة ومناجات الحبيب، وفي
التوراة: (يا بن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا، فأنا الله الذي اقتربت
من قلبك، وبالغيب رأيت نوري).

فكان القائمون يرون تلك الرقة والبكاء، وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب، وقيل: "دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلو البطن، وقيام الليل، والاستغفار بالأسحار، ومجالسة الصالحين".

وقال محمد بن علي الترمذي^(١) رضي الله عنه: "دعا الله تعالى الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، وهياً لهم فيها ألوان الضيافات [لينال] العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطايها، فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة، وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات، حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار"^(٢) انتهى.

هذه في الصلوات المفروضات المكتوبات، ومراد المؤلف بالقيام المسنون، لكنه بعد أحكام الفروض والرواتب المؤكدة.

وقد أمر الله تعالى بقيام الليل فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] الآية، وقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفتطرت قدماه، فقليل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال صلى الله عليه وسلم: ((أفلا أكون عبداً شكوراً))"^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ركعتين يركعهما العبد في جوف الليل الأخير، خير له من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم))"^(٤)، وفضل قيام الليل لا يحصى.

(١) هو: أبو عبد الله الإمام محمد بن علي الترمذي، قال الحافظ بن النجار في تاريخه: "كان إماماً من أئمة المسلمين، له التصانيف الكثيرة في التصوف، وأصول الدين، ومعاني الحديث". اهـ، وكان معاصراً لأبي الحسن الشافلي. ينظر هامش ((غيث المواهب العلية)) ص ٥١.

(٢) ((غيث المواهب العلية)) ص ٢٢٤.

(٣) متفق عليه.

(٤) لم أجده.

ثم اعلم أنه لا يحصل فوائد الصلاة إلا بقيامها بالمأمور به، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وهو حضور القلب، وتفرغ البال عن الأغيار، والخشوع. وأمّا الصلاة والذكر والقراءة مع اشتغال القلب بالوساوس والأغيار، فقليل التأثير في صفاء القلب وتهيأته للمناجات، فكيف يليق بك أيها المؤمن أن تناجي ربك بقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [البقرة: ٥]، وقلبك غافل وداوي في أودية الوسواس الشيطانية والنفسانية والدينيوية، أعاذنا الله من ذلك .

وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه: "حدثت أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفاً منه؛ لأنه تهيأ^(١) للدخول على الملك، فإذا كبر حُجِبَ عن إبليس، وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه، وواجه الجبار بوجهه الكريم، فإذا قال: الله أكبر، اطلع الملك في^(٢) قلبه فإذا^(٣) ليس في قلبه أكبر من الله تعالى، فيقول الملك صدقت الله [أكبر] في قلبك كما تقول . قال فيشعشع^(٤) قلبه ثورٌ يلحق بملكوت العرش فيكشف له بتلك^(٥) النور ملكوت السموات [والأرض]، ويكتب له حشو ذلك النور حسنات، قال: وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذبان على نقطة العسل، فإذا كبر اطلع الملك في قلبه، فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده، فيقول الملك: كذبت، ليس الله [أكبر] في قلبك كما تقول، قال: فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت، قال:

(١) في نسخة: تأهب .

(٢) في نسخة: على .

(٣) في نسخة: كان .

(٤) في نسخة: فيشعشع من .

(٥) في نسخة: بذلك .

فيرد ذلك الحجاب صلاته، ويلقم الشيطان قلبه، ولا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين، حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيها^(١) انتهى قول أبي طالب المكي رضي الله عنه .

فإذا اجتهد المؤمن بتفريغ خاطره وباله عن الأغيار - كما ذكرنا - وسَلِمَ من هذه الآفات بتوفيق الله تعالى، حصلت له في صلاته ومناجاته التجليات، والمنوحات الغيبات، والأنوار الإلهيات، فتحصل له الرقة واليكاء إلى غير ذلك من الفوائد والعوافي، وطهارة القلوب من أدناس الذنوب، كما قال الشيخ ابن عطاء في ((الحكم)): "الصلاة طهرة للقلوب [من أدناس الذنوب]، واستفتاح لباب الغيوب، الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار"^(٢) .

وذكر الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في ((الإحياء)) عن بعض العارفين: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْظُرُ بِالْأَسْحَارِ إِلَى قُلُوبِ الْمُسْتَيقِظِينَ"^(٣) فيملؤها أنواراً، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين .

وقال بعض العلماء من القدماء: "إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: إن لي عباداً يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحبتك، وإن عدلت عنهم مقتك، قال يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنّهم الليل،

(١) ((غيث المواهب العلية)) ص ٢٢٥ .

(٢) حكمتان متاليتان رقمهما: (١١٩ - ١٢٠) وتكملة الحكمة الثانية: "علم وجود الضعيف منك فقلل

أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها".

(٣) في نسخة: المتيقظين.

واختلط الظلام [وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة]، وخلا كل حبيب بحبيبه،
 نصبوا إليّ أقدامهم، وافترشوا إليّ وجوههم، وناجوني بكلامي وتملقوا لي
 بإنعامي، فبين صارخ وبكاء، وبين متأوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي،
 وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم: أقذف من نوري في قلوبهم،
 فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السموات السبع والأرض
 [السبع] وما فيهن في موازين، استقللتها لهم، والثالثة: أقبل عليهم بوجهي،
 فترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟^(١) انتهى .

واعلم رحمك الله أيها الأخ لا تستبعد ما ذكره ولا تكسل، بلا اعزم على
 القيام كيف كان، فالقليل يجر الكثير، فأول السيل قطره، فعليك بالاهتمام والعزم.



كما قال الشيخ رضي الله عنه:

وانصبوا العزم القوي دقلها

وقد تقدم معنى ذلك عند قوله أيضا: "من رام يركبها فلا يناظر"، بل يعزم
 ويجتهد بها ذكر .

العزم
القوي



(١) كتاب ((إحياء علوم الدين)) آخر ربيع العبادات، كتاب الأوراد وتفصيل قيام الليل . لحجة الإسلام
 الإمام الغزالي.

وقول الناظم رضي الله عنه:

وحملوها باسم من حملها

أي: السفينة حسا ومعنى، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿يَسْمِ اللَّهَ مَجْرِبَهَا﴾

[هود: ٤١].

التسمية
بالله



وقوله رضي الله عنه:

دستورها الوجه الذي شملها

والوجه والمواجهات هي: عين الله المنزهة المقدسة، كما قال تعالى: ﴿تَجْرَى

بِأَعْيُنِنَا﴾ [القر: ١٤] بالحراسة والوقاية الشاملة من الله تعالى .

عناية
الله



وقوله رضي الله عنه أيضا:

وفرملها حريق زاخر

والحريق هنا والله أعلم هو: احتراق القلب وحزنه على ما فاتته من الموافقة

لمرضات الله تعالى، وربما يكون أيضا احتراق المحبة وخوف فوات المحبوب،

وربما يكون غير ذلك .

احتراق القلب
وحزنه

وقال الشيخ حسن بن أحمد باشعيب الحضرمي^(١) رضي الله عنه: "بكية على الله، خير من سبعين بكية على الأوامر والنواهي".

وهذا البكاء إنما هو بالقلب، وقد يكون بالظواهر أيضا.



وقوله رضي الله عنه:

وطلعوا الفنجريقين صادق

اليقين
الصادق

الفنجر ويسمى أيضا الفنجري وهو: الذي يطلع على رأس الدقل^(٢) ويعلم بما بان له وظهر من بر أو جبال أو غير ذلك، وشرطه أن يكون صادقا مأمونا لا يشك فيما قاله، وكل ما قاله إنما يكون بيقين وصدق، فحق على فنجر هذه السفينة أن يكون صادقا في أقواله، وأعماله، وأحواله، وأن يكون صاحب يقين بما أوعده الله سبحانه وتعالى به العاملين الصادقين، ليصل بذلك إلى علم اليقين، ثم عين اليقين، بل إلى حق اليقين، وللمشايع الصوفية رضي الله عنهم كلام كثير في هذا المقام فلا نطول بذكره، كيف وهذا كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم كافيان لمن تدبرهما، وتأملهما بعين قلبه.

(١) هو: الشيخ حسن بن أحمد بن إبراهيم باشعيب، أخذ العلم عن الشيخ أبي بكر بن سالم، له العديد من التصانيف منها: كتاب ((سرور السرائر))، و((فسحة الأرواح))، و((راحة القلوب)). توفي بقرية الواسطة بحضرموت سنة: ١٠٣٠ هـ. ينظر: ((خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر))، للعلامة السيد عمر بن علوي الكاف ص ٣٣٤، و((الأعلام)) للزركلي.

(٢) الدقل: هو السارية التي عليها الشراع.

وقوله رضي الله عنه:

عجلها يا صاح نور بارق

وهذا أيضا نور اليقين يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، كما قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه: "لو كشف الغطا ما ازددت يقينا"^(١).

نور
اليقين

ومنها أيضا أنوار المعارف والعلوم، إلى غير ذلك من أنوار الله تعالى النازلة بقلب العبد المؤمن، على حسب استعداده وتفريغه من الأغيار، كما قال صاحب ((الحكم)) ابن عطاء: "فرغ قلبك من الأغيار، يملأه بالمعارف والأسرار"^(٢).

وقال أيضا: "ورود الإمداد على حسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار"^(٣). وهذا كله متعلق أيضا بنور اليقين المذكور.



وقوله رضي الله عنه:

رواجع ترجع إلى الحقائق

هو مقام التوحيد الصرف، قال الشيخ ابن عباد^(٤): "اتفقت مقالات العارفين والمحققين ومقاصدهم وإشاراتهم، على أن ما سوى الله محض من حيث

الحقائق

(١) لم أجده عن الإمام علي كرم الله وجهه، وذكره الغزالي في ((الإحياء)) عند ذكره حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين عن عامر بن عبد الله.

(٢) حكمة رقم: (٢٠٦).

(٣) حكمة رقم: (١١٣).

(٤) ((غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية)) لابن عباد ص ٧٠.

ذاته، لا يوصف بوجود مع الله تعالى، [إذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية، وهو متناقض لإخلاص التوحيد]، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصل: ٢٨٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أصدق شيء قاله الشعراء:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل))

وقال بعض العارفين: "أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية"^(١).

وقال الشيخ بن عطاء في ((التنوير))^(٢): "فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يوصف بوجد ولا فقد، إذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته، ولا فقد لغيره؛ لأنه لا يفقد إلا ما يوجد، ولو أنهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان إلا فغطى وجود الأكوان وكما قال الشاعر"^(٣):

قل الله، وذو الوجود وما حوى	إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته	عَدَمٌ على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها	لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته	فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا	شيئا سوى المتكبر المتعالي
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحال والماضي والاستقبال

والحاصل من هذا كله: أن ما سوى الله عَدَمٌ^(٤) في الحقيقة كما ذكر: "كان

(١) ((غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية)) لابن عباد ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأبيات لأبي مدين التلمساني، ذكرها ابن عباد في شرحه ص ٧١.

(٤) قال الشيخ برهان الدين اللقاني (ت: ١٠٤١ هـ) في ((جوهره التوحيد)): =

الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان^(١).



وقوله رضي الله عنه:

أيضا وصباحي قلب عامر

.....

أي: معمور بنور التوحيد واليقين والإيمان، كما قال الشيخ سعد تاج العارفين رضي الله عنه: "لو ظهر نور المؤمن على العرش لا حترق".

عمارة
القلب

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: "لو كشف عن نور المؤمن العاصي، لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك [بنور] المؤمن المطيع^(٢)".

وعمارة القلب الذي ذكره الشيخ، إنما يكون بهذه الأنوار المذكورة الباطنة، ثم تظهر على الجوارح بالأذكار الظاهرة، والأوراد، والحضور مع الله، والخشوع، والذهول، فمن حصل له هذا، فقد عمّر قلبه واستنار، وعاش عيشا ناعما عاجلا

= فانظر إلى نفسك ثم انتقل للعالَم العلوي ثم السفلي

تجذبه صنعا بديع الحكيم لكن به قام دليل العدم

وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعيا يستحيل القدم

وقد ذكر الباجوري (ت: ١٢٧٧هـ) في شرحه على جوهرة التوحيد كلاما نفيسا، فلتراجعه إن أحببت.

ينظر: ((تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد)) للباجوري ص ٤٧- ٥١.

(١) في ((الصحيحين)) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: ((كان الله ولم يكن شيء قبله)). ينظر:

((جامع الأصول من أحاديث الرسول)) لابن الأثير. والحديث يدل على أن ما سوى الله جل جلاله

وعم نواله حادث.

(٢) ينظر: ((غيث المواهب العلية)) ص ٢٥٣.

وَأَجَلًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَا لَهُ مِنْ قَلْبٍ مَا أَحْيَاهُ، لَقَدْ حَظِي بِالقَرَبِ مِنْ مَوْلَاهُ،
فَأَمَدَّهُ بِأَنْوَارِهِ وَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا النُّورَ، لَا يَغِيبُ مِنَ الْقَلْبِ أَبَدًا، كَمَا قِيلَ شِعْرًا:
إِنْ شَمَسَ النَّهَارُ تَغَرَّبُ بِاللَّيْلِ وَشَمَسَ الْقُلُوبَ لَيْسَ تَغِيبُ
وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَطْرَأُ عَلَيْهِمَا الْكُسُوفُ وَالْغُرُوبُ، وَأَنْوَارُ قُلُوبِ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا كُسُوفَ لَهَا وَلَا غُرُوبَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فِي الْقُلُوبِ مَدَدَةُ النُّورِ
الْوَارِدِ مِنْ عَالَمِ الْغُيُوبِ .



وقوله رضي الله عنه:

شَرَاغُهَا يَشْرَعُ إِلَى الْمَحَبَّةِ يَفُوحُ مِنْ رِيحِ الْهَوَىٰ بِهَبَّةِ

الشوق
إلى الله

وَالشَّرَاعُ: هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الْخَشْبَةَ وَلَا يَحْصُلُ الْمَسِيرُ إِلَّا بِهِ، فَصَارَتِ الْمَحَبَّةُ
حَيْثُ شَرَاعُ هَذِهِ الْخَشْبَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا اجْتَهِدَ فِي طَلْبِهِ، وَبَذَلَ رُوحَهُ وَمَالَهُ
فِي مَرْضَاتِهِ، وَالْمَحْبُوبُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ
غَيْرُهُ، كَيْفَ وَهُوَ الْمُتَفَضَّلُ عَلَى خَلْقِهِ بِالْإِيجَادِ، وَتَوَالِي الْإِمْدَادِ دُنْيَا وَآخِرَى،
وَمُتَحَبِّبٌ إِلَيْهِمْ بِإِحْسَانِهِ، وَمُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِمْ بِامْتِنَانِهِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ غَيْرُهُ
عِنْدَ مَنْ لَهُ قَلْبٌ، وَعَلَامَةُ الْمُحِبِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ بَذْلِ مَجْهُودِهِ فِي رِضَا الْمَحْبُوبِ،
وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَصِلُ إِلَى أَحْوَالٍ عَجِيبَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُحِبِّينَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْمَجْهُودَ فِي بَذْلِ مَالِهِ وَنَفْسِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ
مِنْهُ بَقِيَّةٌ: مَا كَانَ سَبَبُ حَالِكِ هَذَا فِي الْمَحَبَّةِ؟ فَقَالَ: كَلِمَةٌ سَمِعْتُهَا مِنْ خَلْقٍ

لخلق، قيل: وما هي؟ قال: سمعت محبًا خلا بمحبوبه وهو يقول: أنا والله أحبك بقلبي كله، وأنت تعرض عني بوجهك كله! فقال له المحبوب: إن كنت تحبني فأني شيء تنفق علي؟ فقال: يا سيدي أملكك ما أملك، ثم أنفق عليك روحي حتى أهلك .

فقال: هذا خلق لخلق، وعبد لعبد، فكيف يخلق لخالق، وعبد لمعبود؟! وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: ((إذا اطلعت على قلب عبد، فلم أجد فيه حب الدنيا، ملائمة من حبي))^(١).

قلت: فهذا حال المحب الصادق، الذي خرج كل شيء من قلبه سوى محبوبه، وأما من ادعى المحبة، ولم يظهر عليه شيء منها مما ذكر، فهو كذاب في دعواه، متخذ إلهه هواه .

وقيل أيضا: أوحى الله إلى داود عليه السلام: ((يا داود: إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي، وحب غيري [فيها])^(٢).

ثم إن هذه المحبة، أصلها ومنشأها من محبة الله تعالى، كما قال عز من قائل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فمن سبقت له المحبة بالعناية الأزلية، والمواهب السرمدية، فحصلت منه المحبة حيثئذ ضرورة من غير تكلف، ولا تصنع، فيبادر في مرضات محبوبه لا محالة، وظهرت عليه أحوال المحبين من اللهج بذكر المحبوب، والهيام، والشوق، فيحمله على ما ذكر، وهذا هو نور الهدى المذكور إلى غير ذلك، وللمشايع أقوال كثيرة في المحبة، فلا نطول بذكرها . والمحبة هي

(١) ينظر: ((الرسالة القشيرية)) باب المعرفة بالله .

(٢) ينظر: ((الرسالة القشيرية)) باب الشوق .

غاية المطالب وبغية الآمال والمآرب^(١).



وقوله رضي الله عنه:

لما رفع قلعه فكان حسبه إله يعلم بأغمض السرائر

ترك
ما سوى
الله

وهذه الكلمة مطلوبة من كل أحد، خصوصاً مسافري البحر حساً ومعنى؛ لأن من كان بين تلاطم الأمواج، واختلاف الرياح، فلا له حيلة في التخلص من ذلك إلا بالله سبحانه وتعالى، أمّا ترى إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لما طُرِحَ في المنجنيق ورمي به إلى النار فقال: ((حسبي الله)). فلتقاه جبريل عليه السلام ابتلاء من الله، ليظهر صدق قوله، فقال له: ((ألك حاجة))؟ فقال عليه السلام: ((أمّا إليك فلا))^(٢). وفي قول: ((حسبي من سؤاله علمه بحالي)).

ولقد صدق عليه السلام في قوله: ((حسبي الله))، سرا وعلانية، وهذا هو حقيقة قول الناظم:

..... فكان حسبه إله يعلم بأغمض السرائر



- (١) قال الإمام الغزالي رحمه الله: "فإنَّ المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها.." اهـ. ينظر: ((إحياء علوم الدين)) كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا.
- (٢) ذكره ابن كثير في ((قصص الأنبياء)) ص ١٢٧ عن بعض السلف، وفي ((البيخاري)) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين أُلقي في النار...)).

ثم قال الشيخ رضي الله عنه:

وطلعوا الجهد القوي رِيَاناً على بساط الصدق والتمكان
يقول بالحنان وأي الحان إنا إلى مقصودنا نساافر

وقد ذكرنا المجاهدة فيما تقدم، وقول الشيخ: وطلعوا الجهد القوي ربان: وهو بذل المجهود لحصول المقصود، كما قيل: فلا يشاهد غير مَنْ يجاهد.

حقيقة
المجاهدة

وقال سيدنا، ومولانا، وشيخنا، قطب الأقطاب، غوث الأنام، الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس^(١) نفع الله به، في بعض وصاياه: "لا تحسب أن هذا السر محصول عليه، بل هو مبذول لكل من أراد، لكن من حام حول الحمى المزابل، لم يعثر على شيء من هذا السر، ومن شمر عن ساق الجد واجتهد، فلا بد أن يعثر على شيء من هذا السر، والكنوز كل الكنوز في دعايم الاجتهاد". انتهى

قلت: والاجتهاد بالعلم والعمل على الكتاب والسنة، هو مطلوب الحق منك أيها العبد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وذلك على بساط الصدق والتمكان، وهو إخلاص العمل لله تعالى، وإفراده بذلك، عارياً عن الحظوظ الدنيوية والأخروية، وأن تشهد قيامك بالله، والله، هذا هو التمكن المذكور ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقال ابن عطا رضي الله عنه: "مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية،

(١) هو: الإمام عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف بن محمد بن علوي بن محمد الفقيه المقدم، أخذ العلم عن شيوخ أفاضل، كأمثال الشيخ العلامة عبدالله بامروان وغيره، من مؤلفاته: ((الكبرى (الأحر))، وهو مطبوع. توفي، رحمه الله سنة ٨٦٥ هـ، ودفن بتريم في مقبرة زنبيل. ينظر: ((سلسلة علماء حضر موت (١٢))) للحبيب أبي بكر العدني، و((تاريخ حضر موت)) للحامد.

والقيام بحق الربوبية" (١).

وقال أيضا رضي الله عنه: "خير ما تطلبه منه، ما هو طالبه منك" (٢).

وهي: الجهد والعبادة العاريان عن الحظوظ، وطلب الأعواض، والأغراض.

وقوله: "بألحانٍ وأي الحانٍ": وهي النغمات المشيقة المهيجة إلى المقصود

السمع

كما قال: "إنّا إلى مقصودنا نساfer"، وهو وصل الحبيب، والأنس والتقريب والسفر من عالم الأجساد إلى عالم الأرواح؛ لأن الإنسان غريب بروحه في هذا الجسم الكثيف، والعالم الكثيف، فوجب عليه حينئذ السفر إلى موطنه الأول.



قال الناظم رضي الله عنه:

وسافر في لجج بحر الأذواق يجرها نود الهوى والأشواق

أمست إلى وصل الحبيب تشتاق تروم بندر فائق البنادر

لما كان الإنسان غريبا في هذا العالم - كما ذكرنا - بروحه، حنَّ حينئذٍ إلى وطنه، وحق له ذلك، ودخل في لجج بحر الأذواق، يجرُّ نود الهوى والأشواق، أمسى وأصبح يقظةً ومناماً، همّةً واهتماماً إلى وصل الحبيب المذكور، يشتاق - بالشين المعجمة - وتشتاق - بالسين المهملة - (٣) أي: السفينة، تنجر وتسير إلى

الشوق
إلى المحبوب

(١) حكمة رقم: (٧٩).

(٢) حكمة رقم: (٧٥).

(٣) هذا مما اصطلاح عليه في الكتابة قديما، وذلك للتمييز بين حرف وآخر يشبهه ويفارقه بالنقط، وحتى لا يقع =

مرامها ومقصدها، كما قال: "تروم بندر فائق البنادر"، يا له من بندر فلا ينبغي السفر إلا إليه، ولا التعرّيج إلا عليه، كما ذكرنا أول الكتاب، وكيف لا يكون ذلك، وهو فائق البنادر، كما قال الشيخ الناظم، وفيه مجمع السرور، ووافر الجزل والخبور، كما قال الشيخ السوداني^(١) نفع الله به:

سافر عن الأكوان يا موفق إن شئت تشرب خندريس مروق
وارحل إلى اسم الله لا تعوق فيه لأرباب السقام مرهم
وقال أيضا في غيرها:

سافر إلى حضرة عليا مقدسة تصح من ألم الأغيار والنصب



وهذه الحضرة إنما توجد في هذا البندر، وهو الذي عناه المؤلف بقوله رضي الله عنه:

ببندر القرية هناك داني تطرح بروحي أكبر المعاني

وهذا البندر هو غاية مطلب المسافرين المتوجهين، وهو محل المواجهة

حياة
الروح

= تصحيف أثناء النقل أو الكتابة، وتجد أيضا في بعض الكتب يقال: التحتية أو الفوقية، ويراد به مكان النقط، وأيضا تجد الموحدة أو المثناة أو المثلثة إشارة إلى عدد النقط في الحرف .

(١) هو: القاضي العلامة عبد الحميد بن أحمد بن موسى اليميني السوداني، عالم أديب، وشاعر بليغ . توفي رحمه الله بالسودة في نيف وخمسين وألف للهجرة، وهو معاصر لزمان المؤلف الحبيب عقيل بن عمران، ومما يدل على ذلك قوله عقب ذكره نفع الله به: "علما أنه يوجد أكثر من شخص يحمل لقب السوداني كما في ((البدر الطالع)) وهذا الذي ذكرته هو الأقرب، وهو أيضا الوحيد المعاصر للمؤلف، والله أعلم .

والمفاتحة والمجالسة والمحادثة بحضرة القدس المقدسة عن الكونية والأينية^(١)،
محل القرب والتقريب، والأنس والترحيب، وقوله: داني، أي: قريب، قال الله
سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] الآية .

فهذه الحياة الدائمة الباقية في الدنيا والآخرة، وهي حياة الروح الإنساني
بنفخ الروح الرباني، كما قال الشيخ السوداني رضي الله عنه، ونفع به آمين، شعرا:
ولا تكن عن حياة الروح مشغلا بالترهات فما هذا من الأدب

فلما حصل لهذا المسافر التيسير والمعونة من الله، وصلت سفينته إلى هذا
البندر المذكور: طرحت بروحي بأكبر المعاني، تكل عن العبارة كما قيل: "ما هي
إلا معاني ما تسعها العبارة"، إلى غير ذلك من المنح والتقريب، والأنس
والاتصال بالحبيب .



(١) وفي ((العقيدة الطحاوية)) لأبي العز الدمشقي رحمه الله قال: "وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان
والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست، كسائر المبتدعات ..". وفي ((العقيدة الجامعة)) للإمام
الحداد رحمه الله قال: "وأنة تعالى مقدس عن الزمان والمكان، وعن مشابهة الأكوان، ولا تحيط به
الجهات، ولا تعتريه الحادثات، مستوي على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراد، استواء
يليق بعز جلاله، وعلو مجده وكبريائه ...". ينظر: ((مجموع عقائد الإمام عبدالله بن علوي الحداد))
ص ١٣ - ١٤.

وقوله رضي الله عنه:

واصل مُمتنع غاية الأمانى وأمست تهنا بأحسن البشائر

وهذا الوصول ليس منك أيها العبد، إذ جلّ الخالق وتقدس أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء، كما قال الشيخ بن عباد رضي الله عنه في ((شرح الحكم)): "الوصول إلى الله تعالى الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة: هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى، وهذا هو غاية السالكين، ومنتهى سير السائرين، وأما الوصول المفهوم من الذوات فهو متعال عنه"^(١). انتهى

الوصول
إلى الله

قلت: وغاية الوصول المذكور هو الدهشة والخيرة، والعجز عن إدراك الإدراك إدراك.

وقال الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب ((عوارف المعارف)) رحمه الله تعالى: "واعلم أن الاتصال والمواصلة، أشار إليهما الشيوخ وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان، فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون، فمنهم من يجد الله تعالى بطريق الأفعال، وهو رتبة في التجلي، فيفنى فعله، وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى، ويخرج في هذه الحالة من رتبة التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول، ومنهم من يقف في مقام الهيبة والأنس، بما يكشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال، وهذا تجلي بطريق الصفات، وهي مرتبة في الوصول، ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مشتملاً على^(٢) باطنه أنوار اليقين، والمشاهدة مغمى في شهوده عن وجوده، وهذا ضرب من تجلي الذات

(١) ((غيث المواهب العلية)) ص ٣٢٨.

(٢) في نسخة بدون حرف الجر: على.

لخواص المقربين، وهذا^(١) رتبة في الوصول، وفوق هذا^(٢) رتبة حق اليقين، ويكون من ذلك في الدنيا لمح، وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قلبه، وهذا من أعلى رتبة^(٣) الوصول؛ فإذا تحققت الحقائق بعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه في أول المنزل، فأين الوصول؟ هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدى، فكيف في العمر القصير الدنيوي؟!^(٤) انتهى قول الشيخ السهروردي.

وهو موافق لمعنى ما ذكر، فمن حصل له شيء من هذه المراتب المذكورة في الوصول، فقد وصل إلى منتهى الأمانى وغاية التقريب والتداني، فحق له أن يهنا بأحسن البشائر، وكيف لا يكون كذلك وقد قال عز من قائل في حق أوليائه وأصفياه: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] الآية، فأى بشارة أحسن من بشارة رب الأرباب.



النهاية
الأمنة

فلما حصل لهذه السفينة هذا الوصول إلى البندر المذكور، ورست فيه
بالسلامة كما قال الشيخ رضي الله عنه:
لما رست في بندر السلامة يرى لها بين السفن علامة

(١) وفي نسخة: وهذه.

(٢) وفي نسخة: هذه.

(٣) وفي نسخة: مراتب.

(٤) ((غيث المواهب العلية)) ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

ومعنى رست: أي: وصلت بالسلامة من القطاع، آمنة مطمئنة، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً (٢٨) فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي (٢٩) وَأَدْخِلْ جَنِّي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] وهي جنة العرفان كما ذكرنا فيما تقدم، وجنة الوصول والرضوان وهذا هو بندر السلامة، كما قيل: "إن العارف محفوظ من الزلزل، ومعصوم من الإصرار"، فلما وصلت السفينة المذكورة، ورست ببندر السلامة، وحصل لها الأمن والطمأنينة، طلعت حينئذ علامة القبول والوصول بطلوع فجر العناية، وظهور شمس الولاية من الله تعالى، كما أشار إليه بقوله:

ومبتدأها أنه ختامه

أي: إنه سبحانه وتعالى: أولا وأخرا، وظاهرا وباطنا في كل الأمور، والوجود ابتداءً وختمًا، فتولاه الله بقوله: ((كنتُ له سمعا وبصرا))، إلى غير ذلك من الحديث المتقدم ذكره، وفني عن نفسه، وبقي بربه.

هو الأول
والآخر



ثم قال نفع الله به:

مَنْ مَثَلَهَا مَنْ يَجِبُ الْخَوَاطِرُ

أي: السفينة المذكورة، ثم اعلم أن السفينة المذكورة أيضا هي أنت أيها الإنسان، بل أنت كل الكون، ومختصر منه، وزائد عليه، ولو خضت في عوالمك أيها الإنسان بالفكر الصافي، ونور البصيرة، لطلعت على أسرار وتعارفات ومعارف، تستغني بها عن غيرك من الموجودات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

مراتب
الوصول

أَنْفُسِهِمْ ﴿[الروم: ٨]﴾، الآية. وقال أيضا: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وكيف لا تكون كذلك وأنت جوهره تطوى عليك أصداف مكنوناته، تُسْفَرُك من هذه الأكوان بما ذكر، يحصل به جبر الخواطر وتها بأحسن البشائر.



وقال رضي الله عنه:

مَنْ طَلَبَ يَرْكَبُهَا يَمْدُ نَوْلُهُ يَزْكِي أفعالَهُ بِصَدَقِ قَوْلِهِ

تزكية
النفس

أي: من طلب يركب هذه السفينة المذكورة، إنما يتهيأ له الركوب بالصدق والتزكية في الأقوال، والأفعال، والأحوال، وقد تقدم ذلك عند قوله: يقين صادق. ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى.



كما قال الناظم رضي الله عنه:

الْأَمْرُ أَمْرُهُ لَا يُرَدُّ حَوْلُهُ

لا حول
ولا قوة
إلا بالله

أي: لا حول ولا قوة لك أيها العبد إلا بحوله وقوته، كما قال الشيخ ابن عطا في ((مناجاته)) في ((الحكم)): "إلهي كيف أعزم وأنت القاهر؟" (١).

(١) ينظر: ((المناجاة الإلهية))، ضمن كتاب ((الحكم العطائية)) للدكتور عاصم إبراهيم ص ٧٢، وتكملتها: "وكيف لا أعزم وأنت الأمر؟".

وقال أيضا في ((المناجات)) المذكورة: "إلهي علمك^(١) النافذ، ومشيتك القاهرة، لم يتركك لذي مقالٍ مقالا، ولا لذي حالٍ حالا"^(٢).

ومع هذا أيضا فإنك مأمور بالسعي أيها العبد، والعزم، كما قال ابن عطا أيضا: "وكيف لا أعزم وأنت الأمر"^(٣).

فعليك الجمع بين هذين الأمرين كما قلناه فيما تقدم في معنى ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وأن تجمع بين الشريعة والحقيقة، فمن كان بهذا الوصف ثبتت استقامته وأحواله، فيرجا له أن يكون كما قال الناظم رضي الله عنه:

أرجى سبيله لا يزال عابر

في جميع الأوقات والأزمان، بالعبادة والعبودية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحج: ٩٩] فمن صحَّ له هذه العبودية، فقد حصل له غاية المقصود، كما قال سيدنا الشريف الشيخ العارف بالله تعالى، قطب الأقطاب، أبي بكر بن الشيخ عبدالله العيدروس نفع الله بهما: "إذا صَفَّتْ العبودية، وصَحَّ القصد والنية، وفِينَتْ كل بشرية، فحينئذ فهنئوني".

وقال الشيخ ابن عطا في ((الحكم)): "خير ما تطلبه منه، ما هو طالبه منك"^(٤) كما تقدم.

وانظر إلى سر معنى قوله تعالى، في ذكر أحوال نبيه المجتبى صلى الله عليه

العبودية

(١) في نسخة: حكمك .

(٢) مناجاة رقم: (١٤) .

(٣) ينظر: ((المناجاة الإلهية))، ضمن كتاب ((الحكم العطائية)) للدكتور عاصم إبراهيم ص ٧٢ .

(٤) حكمة رقم: (٧٥) .

وسلم، كيف جعل أشرفها وأقربها إليه حال العبودية قال عز من قائل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] .

وما ناله صلى الله عليه وسلم في هذا الإسرائ من القرب والدنو، إلى غير ذلك من الكرامات التي لا تنحصر، وإنما كان ذلك في مقام العبودية، فانظر بعين قلبك، وتأدّب لحضرة ربك، ودع الكبر والدعوى، والزم العبودية المخفضة، وكن بأوصاف ربوبيته متعلقا، وبأوصاف عبوديتك متحققا، تظفر بالغنى، وتسلم من العناء .

وقال ابن عطا أيضا في ((الحكم)): "ما طلب منك" (١) مثل الاضطرار، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار" (٢) .

وهذا أيضا مقام العبودية قال صلى الله عليه وسلم: ((من أراد أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر منزلة الله عز وجل من قلبه، فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد عنده، بحيث أنزله العبد من نفسه)) (٣) .

وقال الشيخ الفضيل بن عياض رضي الله عنه: "إنما يطيع العبد ربّه على قدر منزلته منه" (٤) .

وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه: "فإذا كان العبد لنظر مولاه مكرما، ولحرماته معظما، وإلى محبوبه ومرضاته مسارعا، كان الله عز وجل له في آخرته لوجه مكرما، ولشأنه معظما، وإلى مسرته من النعيم المقيم مسارعا، وإذا كان العبد لِحَقِّ (٥) مولاه متهاونا، وبأمره مستخفا، ولشعائره مستصغرا، كان الله

(١) في نسخة: ما طلب لك شيء .

(٢) حكمة رقم: (١٢٩) .

(٣) رواه الدارقطني عن أنس رضي الله عنه .

(٤) ((غيث المواهب العلية)) ص ١٦٨ .

(٥) في نسخة: بحق .

عز وجل له مُهيناً، وبشأنه متهاوناً، وإلى ما يكره من العذاب الأليم له مسارعاً، والعياذ بالله من ذلك" (١).

ومن ذلك أيضاً ما رُوِيَ عن الجنيد (٢) رضي الله عنه في حمل السُّبْحَةِ فَقِيلَ: أنت مع شرفك تأخذ معك سُبْحَةً؟ فقال: نعم، سببٌ وصلنا به إلى ما وصلنا، لا نتركه أبداً. وكان يدخل كل يوم خلوته ويسبل الستر ويصلي أربع مائة ركعة ثم يعود إلى بيته (٣).

وروي الجنيد رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وفُتِّتَت تلك العبارات، وابتدرت تلك الرسوم، وغابت تلك العلوم، وما نفعنا إلا ركعاتٌ كنا نركعها في السَّحَرِ (٤).

وما روي عن بعض ساداتنا ومشايخنا الأشراف الأقطاب العارفين من آل باعلوي (٥) نفع الله بهم: إن الشيخ عبدالرحمن السقاف (٦) مكث ثلاثين سنة

(١) ((غيث المواهب العلية)) ص ١٦٨.

(٢) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، ولد ونشأ وتوفي ببغداد، كان عالماً من علماء الشريعة والطريقة، قال ابن الأثير في وصفه: "إمام الدنيا في زمانه". وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. من تصانيفه: ((أمثال القرآن))، و((المقصد إلى الله))، و((معاني الهمم)) في الفتاوى الصوفية. توفي رحمه الله سنة ٢٩٧ هـ. ينظر: ((الأعلام)) للزركلي، و((معجم المؤلفين)) لعمر كحاله.

(٣) ذكره الصفدي في كتابه ((الوافي بالوفيات)) عند ترجمة الجنيد رحمه الله.

(٤) المصدر السابق.

(٥) آل باعلوي هم: ذرية سيدنا علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى؛ لأن هذا العرف الخاص، اشتهر بهم لا كل ذرية أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه. ينظر: ((بغية المسترشدين)) للسيد عبدالرحمن بن محمد المشهور باعلوي مفتي الديار الحضرية ص ٤٨٥.

(٦) هو: السيد الشريف وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد مولى الدولة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي ابن الإمام صاحب مرباط. ولد بمدينة تريم سنة ٧٣٩ هـ، وهو أول من =

لا يرقد، والشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس يقول: "لي أكثر من عشرين سنة لا أرقد، لا ليل ولا نهار"، وكذلك ولده أبوبكر: مكث مائة يوم لم يرقد لا ليل ولا نهار، وكذلك الشيخ القطب أبوبكر بن سالم^(١) يطوي الأسبوع والأسبوعين، وروي أنه قد تمضي عليه السنة لا يغمض العين .



فانظر إلى حال هؤلاء السادة الأكابر، كيف كان حالهم في مقام العبودية، واجتهادهم في ذلك قلبا وقالبا لا يزال عابر في سائر الأزمان والأوقات والساعات كما قال الشيخ رضي الله عنه:

يعمر سويعاته بما ذكرنا

حفظ
الوقت

من أول القصيدة إلى هنا من التقوى والطاعة إلى غير ذلك من المقامات، كالزهد والصدق واليقين وغيره، والعبور على ذلك بالعبادة والتعبد لله تعالى - كما ذكرنا - ونقلناه عن المشايخ العارفين نفع الله بهم أجمعين .

واعلم أنك إذا رأيت أو سمعت عن بعض الأولياء، مثل مقامهم بين الخلق

= تسمى بالسقاف، وقيل إنه سمي بذلك لإخفائه حقيقة حاله عن أهل زمانه، فكان كالمستور تحت سقف التواضع والخمول، وقيل غير ذلك . توفي رحمه الله بتريم سنة ٨١٩ هـ، ودفن بمقبرة زنبيل وقبره معروف يزار . (سلسلة أعلام حضرموت (٩)، للسيد الحبيب أبي بكر العدني)، (تاريخ حضرموت لصالح الحامد، ص ٧٤١ وما بعدها .

(١) هو: الإمام العالم أبو المكارم الشيخ أبوبكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف، صاحب عينات . توفي رحمه الله سنة: ٩٩٢ هـ . ينظر: ((خلاصة الخبر)) للعلامة النحوي عمر بن علوي الكاف ص ٧٩ وما بعدها .

لصلاحهم وهدايتهم، أو غير ذلك من المباحات في الظاهر، كالسماع^(١) وغيره، فلا تنسبهم إلى التقصير فيما ذكرناه من العبادة والتعب في حق الربوبية، بل العارفين أنفسهم كلها قدرية .

وقال شيخنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس نفع الله به في بعض وصاياه في صفة العارفين رضي الله عنهم أجمعين: "حركاتهم، وسكناتهم، ولباسهم، وأكلهم وشربهم، ونومهم ويقظتهم، وضحكهم وسرورهم وفرحهم، وجميع أفعالهم من الله، وإلى الله، وفي الله، وبالله .

قلت: فلهذا صارت مباحاتهم درجات وقربات، لحسن نياتهم ومقاصدهم، وقيامهم في ذلك برهبهم لا بأنفسهم، فصار كل نفس من العارف خير من عبادة الثقلين أبداً سرمداً .



قال الناظم رضي الله عنه:

ولا يقصر مثل ما فعلنا

.....

إنا عصينا الله وهو قادر

تقصيرنا ينبيك عن زللنا

(١) والمراد بالسماع عند الفقهاء هو: الإنشاد بصوت حسن بلا آلة، وقد أسهب الإمام الغزالي في ((الإحياء)) القول فيه والتدليل له، ونقل عن جمع من الصحابة وتابعيهم جواز السماع، وذكر فيه عن يونس بن عبد الأعلى قوله: "سألت الشافعي رحمه الله عن إباحتهم أهل المدينة للسماع، فقال الشافعي: لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف، فأما الحذاء وذكر الأطلال والمرايع وتحسين الصوت بالحنان الأشعار فمباح" انتهى. ينظر: ((إحياء علوم الدين)) ربيع العبادات، كتاب آداب السماع والوجد .

اتهام
النفس

وهذا حال العقلاء العارفين، والعلماء العاملين الكاملين، لا يرضون بشيء من أعمالهم وأحوالهم؛ لأنهم يشهدوها كلها مدخولة معلولة، فيغلب عليهم رؤية التقصير، وعدم القيام بحق الربوبية، والعقل لا يزال متهماً لنفسه، كما قيل شعراً:

ومن سِمات الحِجَا مَنْ ليس يرضى لها

منسوبٌ خيرٌ من الأعمال والسير

وَمَنْ عَنِ النَّفْسِ يرضى في مكاسبها

فذلك مسلوب نور العقل والبصر

وقال الشيخ أبو حفص رضي الله عنه في بعض كلام: "وكيف [يصح]

لعقل الرضى عن نفسه، والكريم ابن الكريم [ابن الكريم] يقول: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ

نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال أيضاً رضي الله عنه: "مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً اعتقادي في نفسي، أن الله تعالى

ينظر إليّ نظر السخط، وأعمالي تدل على ذلك" (١).

وقوله: "إِنَّا عصينا الله وهو قادر، أن يعاقبنا على العصيان، أو يثيبنا بالفضل

والامتنان".



(١) ينظر: ((غيث المواهب)) ص ١٠١.

ثم أخبر الناظم عن ما يرجوه عن الله تعالى، لغفران ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، فقال رضي الله عنه:

يغفر ذنوبا لي وما تقدم وكم لي أعصي خالقي وما أندم
وأخشى عن الأصحاب روح وارحم واطرد عن الأحباب والعشائر

وهذا أيضا شأن العقلاء العارفين، والأئمة العاملين ذوي الأحوال السنيّة والمقامات العلية، يعترفون بالتقصير والذنوب، ويعتقدون غفرانها من علام الغيوب، وذلك من باب إحسانه تعالى عليهم وامتنانه، وإتماما لوعده بغفرانه، وقد يرون الغفلة والنسيان عن ذكر الله من جملة الذنوب الموبقات، قال سهل بن عبد الله^(١): "ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب"^(٢).

الاعتراف
بالتقصير

وقال [يعني الناظم]: "وكم لي أعصي خالقي وما أندم": هو غاية الاعتراف والتقصير فيما صدر منه ظاهرا وباطنا، كما تقدم في قوله: "ولا يقصر مثل ما فعلنا"، ولا يخفى أن ذلك من أجل الخصال المحمودّة، التي يثمر منها الخوف والرجاء والشوق والمحبة، وغايتها العجز عن معرفة الله، وهو الغاية القصوى، والمطلوب الأعظم عند الكمّل من أولي النّهى، والنّدّم هو معظم أركان التوبة، كما أن معظم أركان الحج عرّفه لقوله صلى الله عليه وسلم: ((الندم توبة))^(٣).

ومع اعتراف الناظم بالمعاصي، وهو بعيد عنها فيما يقرب ويغلب على الظن، خشي من بعد الأصحاب الصادقين المتحابين في الله المخلصين أهل الإيثار والفتوة والمعرفة والمروءة، وخشي أن يذهب عنهم ويرحل عن صواب طريقهم

(١) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، من كبار أهل المعرفة في القرن الثالث.

(٢) ((الرسالة القشيرية)) باب الفتوة.

(٣) رواه ابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الأقوم، وهو ممن غفر وبه يرحم، وخشي أيضا عن الطرد عن مَنْ عناهم، وحاشاه أن يطرد عنهم أو ينجح إلى سواهم، وهو معهم يسير سريان الروح اللطيف، وإن بُعد عنهم بالجسم الكثيف، كيف وهو من جملة خواصهم المقربين، ومراده بالأحباب الذين عناهم أحباب القلوب، الذين يدلون المحب على المحبوب، وهم على مراتب شتى:

منهم محب، ومنهم محبوب، ومنهم مريد طالب، ومنهم مراد مطلوب، ومنهم سيّار، ومنهم طيّار، إلى غير ذلك مما لا حصر له، كل منهم يصل إليه على ما سبق له في علم الله القديم .

وقوله: "والعشاير": المراد بهم القرابة من جهة الآباء والأمهات، وقد يوجد فيهم من هو من الأحباب، مع مزيد محبة، وصلة، وشفقة، ومودة .



ولما انتهى الشيخ الناظم نفع الله به من ذكر السفر المعنوي على المنهج النبوي، سأل بحق الله، وبأنبيائه، وأوليائه، فقال:

يا رب إنا نسألك بحق

وهي ذات الله، وصفاته، وأفعاله المقدسة المنزهة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك))^(١).

التوسل

(١) أخرجه أبو داود، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه.

فانظر إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم وتعوذه بهذا القول، والترقي من مقام إلى مقام، ثم الفناء في الله تعالى والبقاء به، فلقد جمع قوله هذا صلى الله عليه وسلم جميع السلوك، والمقامات، والترقي، والفناء والبقاء، كما ذكرنا .



ثم قال رضي الله عنه:

والأنبياء يا رب وأهل قريبك

.....

والأولياء يا رب وأهل رشدك اغفر لعبدك من هوى الضماير

وكيف لا يكون ذلك، وهم هداة الخلق ودعاتهم إلى الله، وهم أهل النعمة الذين أنعم الله عليهم في الدنيا والآخرة بقوله: ﴿مَنْ أَلْتَمَسْهُ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] وهما الأنبياء المقربون، والأولياء أهل قربه ورشده أيضا، فمن تقرب بهم وتشفع بهم لا يخيب أملهم ومطلوبه في الدنيا والآخرة، من غفران الذنوب، وكشف الكروب، كما قال الشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر عباد^(١) نفع الله به في أثناء ذكر الصالحين: "لو لم يكن في ذكرهم نفع الله بهم إلا غفران الذنوب لكفى".

(١) هو: الفقيه الفاضل الإمام جمال الدين محمد بن أبي بكر عباد، ولد بمدينة شبام سنة ٧١٢هـ، وعده بعضهم المجدد بحضرموت على رأس القرن التاسع، وهو أحد مشيوخ الإمام عبدالرحمن السقاف حيث لازمه سنوات وانتفع به انتفاعا جما. توفي رحمه الله بشبام سنة ٨٠١هـ، وقيل ٨٠٢هـ، عن ٩٠ عاما. ينظر: ((تاريخ حضرموت)) للحامد ص ٦٨٣، و((جهود فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي)) للدكتور محمد باذيب ص ٣٨٠.

قلت: هذا في الأولياء والصالحين، فما ظنك بالأنبياء والمرسلين، هذا في محض ذكرهم، فما ظنك بالتشفع والتوسل بهم^(١)، نفع الله بهم أجمعين .

وقوله: "من هوى الضماير": والضمير هو السر، فالالتفات عندهم

(١) التوسل بالله وبالعامل الصالح وبأنبيائه وأوليائه هو أحد طرق الدعاء، دلت الأخبار الصحيحة على جوازه، فقد روي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنت الميضة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي)). قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر .

رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح، وصححه أيضا الذهبي، ورواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه، ورواه أيضا الطبراني وذكر في أوله ما يثبت أن هذا الحديث ليس خاصا بحياته صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: "أنت الميضة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل في ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك .."، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، ثم قال: ما كانت لك حاجة فأتتنا، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان بن حنيف وقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أو تصبر؟)) فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنت الميضة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع)) بهذه الدعوات، فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط .

قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): "قال الطبراني عقبه: والحديث صحيح بعد ذكر طرقة التي روي بها". وذكره المنذري في كتابه ((الترغيب والترهيب)) كتاب النوافل، ونقل قول الطبراني المار فيه .

بسرائرهم وضماثرهم إلى ما سوى الله ذنب، وسوء أدب في الحضرة، فيلزمهم حينئذ التوبة والاستغفار، والرجوع إلى الله عن الالتفات إلى الأغيار، فالتوبة على ثلاث مراتب:

الأولى: التوبة عن الذنوب الظاهرة .

والثانية: التوبة عن الذنوب الباطنة .

والثالثة: التوبة عن إلتفات السرائر إلى ما سوى الله .

فالأولى: حالة العوام من المؤمنين، والثانية: حالة السالكين المتوجهين، والثالثة: حالة العلماء العارفين المقربين أهل الصدق واليقين .



ثم قال أيضا رضي الله عنه:

أصلح عبّيدك وارزقه الإنابة

أي: الرجوع إلى الله كما ذكرنا، سواء بالإنابة والتوبة .

والأوبة: وهي معنى لكل الرجوع إلى الله، وفيها تفصيل وتخصيص، وليس هنا محل البسط، إذ أن الشيخ الناظم رضي الله عنه من خواص عبادة الله المقربين، كما شهد له بذلك مشايخنا آل باعلوي نفع الله بهم أجمعين، فمنهم شيخُ شيوخنا محمد بن علي الفقيه المقدّم^(١) في بعض كلامه له، وقد شهد له أيضا سيدنا

**الإنابة
والدعاء**

(١) هو: الفقيه المقدّم الإمام محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط، ولد بتريم سنة ٥٧٤هـ، حفظ القرآن،

وجملة من المتون في شتى الفنون، وكانت له مراسلات مع علامة ظفار تاج العارفين الشيخ سعد بن =

وشيخنا الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس بقوله في شرح قصيدته الذي أولها:

نحن لكم من قبل أن يلد نوح

فقال رضي الله عنه: "هذا كلامٌ مَنْ غلبت عليه الروحانية، وانمحت عنه الصفات البشرية، وتجردت له المعارف الإلهية، وانخلعت من الأرواح اللطيفة، وتميز اللطيف من الكثيف، وعرج بروحه إلى العالم الأعلى، وطالع الوجود الحقيقي الأصفى، فانطبع فيه نقش الملكوت، وتجلّى له سر اللاهوت". انتهى

فيا له من كلام، ويا له من عبد، لقد حظي بنيل المرام .



ثم إن لكل مقام توبة كما ذكرنا، فقال رضي الله عنه:

وَجُدْ لِعَبِيدِكَ كُلِّ مَا أَتَى بِهِ

واغفر ذنوباً له وما خطا به أصلحه في الدارين وأنت سائر

قوله: جُد: أي من الجود والكرم والفضل، فطلب الجود لكل ما أتى به من أعمال وأقوال وأحوال، فالله غني عن ذلك، وجاء من باب الفضل والجود كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقال الولي رسلان^(١)

= علي الشحري الظفاري . توفي رحمه الله سنة ٦٥٣ هـ . ينظر: ((سلسلة أعلام حضرموت (٥))) للحبيب أبي بكر العدني، و((تاريخ حضرموت)) للسيد صالح الحامد ص ٧٠٩ وما بعدها .

(١) هو: الشيخ رسلان بن يعقوب بن عبدالله الجعبري الدمشقي، أحد الزهاد الصالحين، له رسالة في التوحيد قيمة اسمها: ((الرسالة الفياضة بالمعاني السامية))، شرحها الشيخ عبدالغني النابلسي وغيره =

في ((رسالته)): "إِنْ جِئْتَ بِلا أَنْتَ قَبْلَكَ، وَإِنْ جِئْتَ بِكَ عاملك".

وقال أيضا: "كن من قبيل المنة، لا من قبيل العمل . وهذه حالة شريفة لا ينالها إلا أهل الفناء".

وقوله: "اغفر ذنوباً له وما خطا به": قد تقدم معنى ذلك عند قوله: "اغفر لعبدك من هوى الضماير".

وطلب المغفرة بالرجوع والإنابة إلى الله تعالى مطلوب في كل حين وأوان، فلذلك كرره الشيخ رضي الله عنه، كيف وفوائد التوبة والاستغفار لا تنحصر كما أمر الله تعالى بذلك، وأوعد بما هنالك من المحبة والنعيم وغير ذلك، فقال تعالى في حق التائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فأي حال أشرف من محبة الله، وقوله في الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩]، فارجع إليه أيها العبد من زللك وذنوبك وخطاياك، وتضرع لديه فإنه يصلحك في الدارين .

وقوله: "وأنت ساتر": فالستر في الدنيا عن المعاصي، وقد يكون الستر فيها وهذه حالة العامة من المؤمنين، والأولى حالة الخاصة من المقربين .



ثم ختم الشيخ قوله بالمسك الفيّاح، وهي الصلاة على عين الوجود،
ومعدن الأرواح، فقال رضي الله عنه:

الشيء صلاتي تبلغ المطهر الشافع الهادي النبي الأزهر
صلاة ما نجم طلع ودبر مع ركوبات الملا مسافر

فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قرة العين، ومذهبة لجلاء الهموم
والرّين، وكلُّ دعاء لا يُقبل إلا بها، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، وكيف
لا يكون ذلك وهو باب الله الأعظم، فمن أتاه من غيره لا يدخل، ثم إنني إذا
رأيت قصيدة لم يكن آخرها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، لم يطب قلبي
بذلك، ومثله الدعاء وسائر الأعمال.

خاتمتها
مسك

وقد ورد في الآيات والأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة
والسلام عليه فقال عز من قائل كريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقيل: هذا أمر إيجاب .
وقيل: بإيجابه في العمر مرة . وقيل: غير ذلك^(١)، مما اختلف فيه العلماء رضي الله
عنهم، وإنما نبهنا على ذلك للتحفظ على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم،
والأحاديث في ذلك غير محصورة، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى
علي صلاة، صلى الله عليه بها عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفعَ له
عشر درجات))^(٢)، وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ جبريلَ عليه السلام

(١) قال الخطيب الشربيني في ((مغني المحتاج)): ٢٤١/١: "قالوا: وقد أجمع العلماء على أنها - أي الصلاة
على النبي - لا تجب في غير الصلاة، فتعين وجوبها فيها" أي: في التشهد الأخير من الصلاة، فالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا به.

(٢) رواه أحمد وأحمد والنسائي وابن حبان في ((صحيحه)).

بشرني أنه من صلى عليّ، صلى الله عليه، ومن سلّم عليّ، سلّم الله عليه))^(١).

وهذا من جملة حديث طويل، فانظر أيها المؤمن فائدة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي صلاة رب الأرباب وسلامه عليك لما صليت على نبيه وصفوته من خلقه، فأى فائدة أعظم من هذه الفائدة، بصلاة واحدة فيما ظنك بالألوف والكثرة، كما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قال: الثلث؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو أفضل، قال: النصف؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو أفضل، قال: كلها؟ قال: إذن يكفيك الله همك، ويغفر ذنبك))^(٢)، وفي رواية أخرى عن رجل قال: ((يا رسول الله، إني أريد أن أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذن يكفيك الله أمر دنياك وأخرتك))^(٣).

وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينحصر ولا يتناهى.

وقوله: "المظهر" أي: من الرجس والأدناس البشرية معنا وحسا، إلى غير ذلك، وقوله: "الشافع" وهو المشفع في المقام المحمود، الذي يحمده فيه الأولون والآخرون^(٤)، وهذا هو الجاه العظيم، ولم يؤته إلا هذا النبي الكريم عليه أفضل

(١) رواه أبو يعلى عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد، والطبراني.

(٤) ذكر الإمام النووي في شرحه على مسلم: أن للنبي صلى الله عليه وآله خمس شفاعات يوم القيامة:

١ - شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في تعجيل الحساب من ساحة المحشر.

٢ - شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في دخول قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب.

٣ - شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في عدم دخول أناس النار وقد استوجبوها.

٤ - شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في إخراج أناس من النار.

٥ - شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في زيادة درجات بعض أمتة في الجنة. ينظر: ((شرح مسلم)) =

الصلاة والتسليم، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، كما قال: الهادي النبي الأزهر: وهو النور المبين الأزهر، الظاهر ظاهراً وباطناً، كيف وجسمه نور لا يشخصه ظل، فما ظنك بباطنه الذي هو محل الوحي والتنزيل، والتحلي بأنوار الإله الجليل.

وقوله: "صلاة ما نجم طلع ودبر": أي: ظهر وغاب في الأفق، دائماً على مر الأزمان والأعوام أبداً سرمداً، كما قال: "مع ركوبات الملا مسافر": والملا هنا هو الجمع والكثرة، كما روي في الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى: ((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه))^(١).

ثم إن من ذكر هذا الحبيب صلى عليه، فقد ذكر الله، ومن أطاعه، فقد أطاع الله.



= للنووي، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. (بتصرف يسير).

وإلى هذا المقام المحمود أشار البوصيري في ((بردة)) بقوله:

يا أكرم الخلق مني من ألؤذبه سواك عند حلول الحادث العمم

قال ابن خنجر في شرحه على البردة المسمى ((العمدة في شرح البردة)) ص ٦٦٠: "وهو هول يوم القيامة".

وهو ما قاله أيضاً الباجوري في شرحه على البردة ص ٩١.

(١) رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد، السابق للخلق نورّه، الرحمة للعالمين
ظهورّه، عدد من مضى من خلقه ومن بقي، ومن سعد منهم ومن شقي، صلاةً
تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاةً لا غاية لها ولا انتهى، ولا أمد لها ولا انقضا،
صلاتك التي صليت عليه، صلاةً دائمةً بدوامك، باقيةً ببقائك، وعلى آله
وصحبه كذلك .

اللهم إنا نستغفرك من الشطط والهوى في كل ما ذكرنا، ونتوب إليك من
أن يكون في كلامنا تحريف لغير ما عناه المؤلف ونواه، ونستغفرك
ونتوب إليك عن كل باعث ينهض لسواك، ونسألك المثابة لكل
عمل يرضيك، ونسألك صفاء أهل اليقين، ومواهب
الصديقين، ونعوذ بك من هوى النفوس،
والوقوف مع المحسوس،
يا قدوس يا قدوس
برحمتك يا أرحم
الراحمين

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ^(١)

(١) تم بحمد الله وتوفيقه، ورحم الله مؤلفه الشارح رحمة واسعة، ونفع الله بمصنفاته، وجزى الله خيرا كل
من سعى لإظهار مصنفات علمائنا، وبارك الله في سعيه، ويسر له ذلك، آمين . والحمد لله أولا وآخرا،
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله
وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المحتويات

الموضوع ..	الصفحة
مقدمة المحقق	٧
مقدمة الشارح	٢٣
شرح القصيدة	٢٧
السفر	٢٧
التقوى	٣١
الطاعة	٣٣
الزهد	٣٥
الصحة	٣٨
الصوم	٤٠
البلايا والحزن والمحن	٤٤
ترك الشواغل	٤٧
الربح وعدم الالتفات إلى الأخطار	٤٩
علم الظاهر والباطن	٥١
التوكل	٥٦
التنقل في المقامات	٥٨
نحول الجسم وصلاة الليل	٥٩
العزم القوي	٦٣
التسمية بالله	٦٤
عناية الله	٦٤
احترق القلب وحزنه	٦٤
اليقين الصادق	٦٥

٦٦	نور اليقين
٦٦	الحقائق
٦٨	عمارة القلب
٦٩	الشوق إلى الله
٧١	ترك ما سوى الله
٧٢	حقيقة المجاهدة
٧٣	السمع
٧٣	الشوق إلى المحبوب
٧٤	حياة الروح
٧٦	الوصول إلى الله
٧٧	النهاية الآمنة
٧٨	هو الأول والآخر
٧٨	مراتب الوصول
٧٩	تزكية النفس
٧٩	لا حول ولا قوة إلا بالله
٨٠	العبودية
٨٣	حفظ الوقت
٨٥	اتهام النفس
٨٦	الاعتراف بالتقصير
٨٧	التوسل
٩٠	الإجابة والدعاء
٩٣	خاتمها مسك
٩٧	فهرس المحتويات